

الباب الرابع:

أهم المقامات والأحوال

- ١- التوبة
- ٢- الخاسبة
- ٣- الحجة
- ٤- التقوى
- ٥- الإخلاص
- ٦- الاستقامة
- ٧- الزهد
- ٨- الرضا
- ٩- الشكر
- ١٠- الصبر

أولاً - مقام التوبة

- قال أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسني رحمه الله وهو من أعلام التصوف: (أول مقام من مقامات المنتقطعين إلى الله تعالى التوبة)^(١).

- (التوبة أول منزل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين، وحقيقة التوبة في اللغة: الرجوع، يقال: تاب أي رجع، فالتوبة: الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه)^(٢).

- فالتوبة إذاً: هي رجوع العبد إلى ربه من الأوصاف المذمومة في الشرع إلى الأوصاف المحمودة فيه، وهي مبدأ طريق السالكين، ومفتاح سعادة المريدين، وشرط في صحة السير إلى الله رب العالمين.

- ولقد زخر القرآن الكريم بالآيات الدالة على هذا المقام وساق أهل التصوف بعضاً منها للاستدلال على هذا المقام كما في قوله تعالى:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٣)

- وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(٤).

- قال أبو طالب المكي^(٥): (في الآية الأولى إنها خطاب للعموم وفي

(١) السراج الطوسي: للمع، ص ٦٨.

(٢) القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٩١.

(٣) سورة النور: ٣١.

(٤) سورة التحريم: ٨.

(٥) أبو طالب المكي محمد بن علي بن عطية الحارثي، واعظ زاهد، فقيه من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) نشأ واشتهر بمكة. ورحل إلى البصرة فاقم بالاعتزال.

الثانية إنها خطاب للخصوص^(١).

- وكان الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يجدد التوبة ويكرر الاستغفار تعليماً للأمة وتشريعاً فقد روى الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٢).

- وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٣).

- قَالَ الْعُلَمَاءُ: (التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَإِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلَاثَةٌ شُرُوطٌ: أَحَدُهَا: أَنْ يُقْلَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَعَزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا. فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ.

وَأِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هَذِهِ الثَّلَاثَةُ، وَأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا، فَإِنْ كَانَتْ مَالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ حَدًّا قَذَفَ وَنَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غِييَةً اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا. وَيَجِبُ أَنْ يُتُوبَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ»^(٤).

=وسكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالا هجره من أجلها. وتوفي

بيغداد سنة (٣٨٦ هـ/٩٩٦م). [الأعلام للزركلي]

(١) قوت القلوب جزء ١ ص ١٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) الإمام النووي: رياض الصالحين ص ٢٢.

- قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَحَدًا مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمْتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَحَدًا مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

- وقال ﷺ: «أَتَذَرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عَرَضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ فَيَقْتَضِ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتِهِ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَحَدًا مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

- هذا وإن الله ﷻ يحب التوايين، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣).

- ويفرح الله ﷻ بتوبة عبده فرحاً شديداً بين ذلك حديث متواتر عن النبي ﷺ رواه ابن مسعود، والبراء بن عازب، والنعمان بن بشير، وأبو هريرة، وأنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَيَّ رَاحِلَتِي بِأَرْضِ فِلاةٍ، فَأَنْفَلْتُ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِي، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَاخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٢.

شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(١).

- والله ﷻ يجب من عبده إذا أذنب أن يتوب، وقد جعل له باب التوبة مفتوحاً ليل نهار، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

- وعندما يتوب المسلم فالله ﷻ قد يقبل توبته ويمحو سيئاته ويعفو

عنه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا

فَعَلُوا﴾^(٣).

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(٤).

- ولا بد لمن سلك طريق التصوف وابتدأ بمقام التوبة أن يكثر من الاستغفار لأنه من أسباب قبول التوبة، والاستغفار-مصدر فعله استغفر- أي طلب الغفران، والغفران من الله للعبد أن يصونه عن العذاب فيقبل توبته، ويبعده عن المهالك، ولقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الاستغفار منها قوله تعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِتْرَارًا ۖ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۙ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾^(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) سورة الشورى: ٢٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه.

(٥) سورة نوح: ٩-١١.

- وقال سبحانه: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَلَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾^(١).

- ويقول عز من قائل: ﴿وَنَقُورٍ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَحْرَمَاتِ ﴿٥٤﴾﴾^(٢).

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾^(٣).

- وقال جل وعلا: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾﴾^(٤).

- وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٥﴾﴾^(٥).

- يقول الإمام علي كرم الله وجهه: (ثنتان تؤمنان من العذاب، وقد رفعت إحداهما وبقيت الثانية، وتلا هذه الآية، ثم قال: العجب ممن يهلك، ومعه النجاة، قيل وما هي؟ قال: الاستغفار، وقال: ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار، وهو يريد أن يعذبه)^(٦).

(١) سورة هود: ٣.

(٢) سورة هود: ٥٢.

(٣) سورة النساء: ١١٠.

(٤) سورة النصر: ٣.

(٥) سورة الأنفال: ٣٣.

(٦) الغزالي: إحياء علوم الدين جزء ١ ص ٣٢٠.

- وقد تحدث النبي ﷺ عن أهمية الاستغفار في أحاديث كثيرة منها: «ألا أدلكم على داءكم ودوائكم ألا إن داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار»^(١).
- وقال ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاستِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»^(٢).
- وقال ﷺ: «إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار»^(٣).
- وتحدث النبي ﷺ عن نفسه فقال: «إِنَّهُ لَيَعَانُ^(٤) عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٥).
- وينبغي للسالك طريق التصوف وهو طريق الله ﷻ في أول مقاماته التوبة، وأن تكون توبته توبة نصوحاً، والنصح في التوبة هو تخليصها من كل غش وفساد، وأن يكون عهد بينه وبين الله ألا يعود إلى ما كان عليه من الذنوب.
- قال سعيد بن المسيب: (توبة نصوح: تنصحون بها أنفسكم)^(٦).
- وقال الحسن البصري: (هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على ألا يعود إليه)^(٧).

(١) أخرجه البيهقي والديلمي عن أنس ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه عن أنس ﷺ.

(٤) وغين على الرجل ركب قلبه السهو والغفلة.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن الأغر بن المزني ﷺ.

(٦) تفسير القرطبي.

(٧) د. أحمد فريد: تزكية النفوس ص ٧٩.

- وقال الواسطي^(١): (التوبة النصوح لا تبقي على صاحبها أثراً من المعصية سراً ولا جهراً)^(٢).

- وينبغي لهذا السالك أن يبدأ طريقه إلى الله بهذه التوبة النصوح من كل ما مضى من الذنوب المتعلقة بحق الله ﷻ قبل سلوكه، وينبغي له أن يرد للآخرين جميع حقوقهم عليه، ثم ينبغي له بعد ذلك أن يتعد عن الذنوب صغيرها وكبيرها فإن غفل وارتكب ذنباً فعليه أن يستغفر الله ﷻ من ذلك الذنب ويتوب إليه مباشرة، وأن يكون ذلك ديدنه طيلة حياته.

- وينبغي لهذا السالك إذا غفل عن التوبة، واستغرق في ذنوبه مدة من الزمان أن يعاود الرجوع إلى الله ويتوب إليه لأن الله تواب رحيم ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرَبِّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرَبِّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَأَغْفِرُ لِي فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلَمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ فَأَغْفِرُهُ. فَقَالَ: أَعْلَمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا - وَرَبِّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا - قَالَ، قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ أَذْنَبْتُ - آخَرَ فَأَغْفِرُهُ لِي. فَقَالَ: أَعْلَمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي - ثَلَاثًا - فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»^(٣).

(١) الواسطي أبو الحسن علي بن الحسين بن أحمد الشافعي، زاهد. مات محرماً بيدرسنة

(٢) ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م [الأعلام للزركلي].

(٣) القشيري: الرسالة القشيرية.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

- حكي أن شاباً عبد الله ﷺ عشرين سنة، ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر في المرأة فرأى الشيب في لحيته فسأه ذلك، فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة، ثم عصيتك عشرين سنة، فإذا رجعت إليك فهل تقبلني؟ فسمع نداءً يقول: أحببتنا فأجبنك، وتركتنا فما تركناك، ورزقناك وأعطيناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك.

- قال أحد المرين العارفين: إن الشاب إذا بكى من ذنوبه، واعترف بعيوبه إلى سيده ومحبوبه، وقال: إلهي أنا أسأت، فيقول الله تعالى: وأنا سترت، فيقول: إلهي أنا ندمت، فيقول الله تعالى: وأنا علمت، فيقول إلهي رجعت، فيقول الله تعالى: وأنا قبلت، وعفوت، وغفرت.

- أخيراً ينبغي على السالك مقام التوبة أن يراقب نفسه فلا يرتكب ذنباً بحق الله فهو في صحوة دائمة ومراقبة مستمرة، ومع ذلك قد يغفو أحياناً أو يسهو فيقع في الذنب فيشعر به مباشرة، وكأنه وقع عليه جبل، كما ورد في الحديث فيسرع في الإقلاع عنه والندم عليه ثم يستغفر الله كثيراً، ويكي ويعاهد الله ألا يعود لمثله مبتعداً عن أصدقاء السوء ومجالسهم، وعما سبب له تلك الغفلة، ثم يكثر من الحسنات والصدقات إلى أن يشعر أن الله ﷻ قد غفر له ذنبه، ومحا عنه أخطائه، وقبله وسامحه، يدعو دائماً بدعاء النبي: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

وكان رسول الله ﷺ يقول: «رَبِّ اغْفِرْ وَاَرْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَا تَعْلَم، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيُّ الْأَعْظَمُ»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه عن علي ؓ.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول عن أنس بن مالك ؓ.

ثانياً: مقام المحاسبة

- المحاسبة: (هي تهينة الوازع الديني في النفس، وتربيتها على تنمية اللوم الباطني الذي يجردها من كل ما يقف أمامها عقبة في طريق الصفاء والمحبة والإيثار والإخلاص)^(١).

- وقد أشار الله ﷻ في قرآنه إلى محاسبة النفس فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسَهُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّا اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

- قال الإمام ابن القيم: (هذه الآية تدل على وجوب محاسبة النفس)^(٣).

- وقال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية أي: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم، واعلموا أنه عالمٌ بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية)^(٤).

- وأشار النبي ﷺ إليها أيضاً فقال: «الْكَيْسُ^(٥) مَنْ دَانَ نَفْسَهُ^(٦) وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»^(٧).

(١) عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف ص ٢٣٥.

(٢) سورة الحشر: ١٨.

(٣) إغائة اللهفان من مصايد الشيطان جزء ١ ص ٨٤.

(٤) تفسير ابن كثير جزء رابع ص ٣٦٥.

(٥) الكيس: أي العاقل.

(٦) دان نفسه: أي حاسبها.

(٧) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن شداد بن أوس ؓ.

- ومحاسبة النفس خطوات متعددة:

أولاً: مشارطتها، وذلك بركون المسلم إلى نفسه، والحديث معها مبيناً لها حقيقتها، وما يجب عليها أن تسير عليه من اتباع الشرع، وأوامر الله، وسنة رسوله، والبعد عن الهوى والشهوات والمعاصي والمحرّمات، موضحاً لها نتائج كل طريق منهما في الدنيا والآخرة، فيشترط عليها اتباع طريق الحق والبعد عن طريق الباطل.

ثانياً: إرشادها إلى الحق والخير والنجاح والفلاح، والسير على منهجه وسلوك طرقه وأساليبه.

ثالثاً: مراقبتها في حركاتها وسكناتها، وفي أقوالها وأعمالها، وفي نياتها وظاهرها، وفي كل أمورها.

رابعاً: محاسبتها على كل أعمالها وما يصدر عنها.

ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته، ولا يبادر إلى العمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

قال الحسن رحمه الله: (رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن أحداً لا يعمل حتى بهم، فإن كان لله عَلَيْكَ مضى، وإن كان لغير الله أمسك)^(١).

أما النوع الثاني: فهو محاسبة النفس بعد العمل، وهو أربعة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله فلم تؤدها على الوجه الذي ينبغي، فيحاسب نفسه عن تقصيرها، ويلزمها أداءها بأفضل ما يجب أن تكون.

(١) أخرجه البيهقي في شعبه.

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً له من فعله، فيحاسبها لماذا عملت به؟ أليس من الأولى تركه، وأن عليها ألا تقوم به مرة ثانية.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمرٍ مباح أو معتاد، لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون راجحاً، أو أراد به الدنيا وعاجلها، فيخسر ذلك الربح، ويفوته الظفر به.

الرابع: أن يحاسب نفسه على أمرٍ فعَلُهُ فيه معصية لله ﷻ، وهنا يكون حسابه لنفسه شديداً، وعتابه لها كبيراً، كيف ارتكبت الحرام؟ كيف فعلت الذنب؟ كيف فعلت المنكرات؟ كيف عصت ربها؟ كيف وكيف وكيف.... ثم ييكي على ما أحدث ويندم، ويستغفر ويتوب ويتصدق، ويعاهد الله ألا يعود إلى مثل ذلك أبداً.

- وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض، فإن تذكر منها نقصاً تداركه إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً، تداركه بالتوبة والاستغفار، والصدقات والحسنات الماحية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(١).

- ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خُلق له، تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى، ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشى رجلاه، أو بطشت يده، أو سمعته أذناه.

- ماذا أردت بهذا؟ ولم فعلت؟ ولم فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟
- ويعلم أنه لا بد أن يُنشر لكل حركة وكلمة ديوانان: لِمَ فعلته؟ وكيف فعلته؟

(١) سورة هود: ١١٤.

- فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني سؤال عن المتابعة، قال تعالى:

﴿لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٨) (١).

- فإذا سئل الصادقين عن صدقهم، وحوسبوا على صدقهم، فما الظنّ

بالكاذبين!

- وقد درج السلف الصالح على محاسبة أنفسهم محاسبة شديدة، ولم

يغفلوا عنها أبداً، وقد أعطونا دروساً نافعة بذلك أذكر منها:

- قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا

أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تحفى منكم خافية» (٢).

- وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان من

عماله: «أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإنه من حاسب

نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضا والغبطة ومن أهتته

حياته وشغله بهواه عاد مرجعه إلى الندامة والحسرة، فتذكر ما توعظ به لكي

تنتهي عما ينتهي عنه» (٣).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً

وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعتة يقول ويبيني وبينه جدار وهو في

جوف الحائط: «عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ والله لتتقين الله، ابن

الخطاب أو ليعذبك» (٤).

(١) سورة الأحزاب: ٨.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد.

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه.

(٤) ابن أبي الدنيا: محاسبة النفس ص ٤.

- وقال الحسن: (المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله ﷻ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفجؤه الشيء ويعجبه، فيقول والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله، ما صلة إليك هيهات، حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: هيهات ما أردت إلى هذا وما لي ولهذا والله ما أعذر بهذا والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئا حتى يلقي الله يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه، وفي بصره، وفي لسانه، وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله)^(١).

- وقال الحسن أيضاً: (أسير الناس حسابا يوم القيامة الذين يحاسبون أنفسهم في الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم فإن كان الذي هموا به لهم مضوا وإن كان عليهم أمسكوا قال: وإنما يثقل الأمر يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا أخذوها من غير محاسبة فوجدوا الله عز وجل قد أحصى عليهم مثاقيل الذر وقرأ: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢) (٣).

- قال وهب بن منبه مكتوب في حكمة آل داود: (حق على العاقل أن لا يشغل عن أربع ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها

(١) ابن أبي الدنيا: محاسبة النفس ص ١٨.

(٢) سورة الكهف: ٤٩.

(٣) ابن أبي الدنيا: محاسبة النفس ص ١٥٦.

نفسه، وساعة يُفْضِي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحلم، فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات، وإجمام للقلوب^(١).

- وعن ميمون بن مهران^(٢) أنه قال: (لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل)^(٣).

- ومن أهم فوائد محاسبة النفس الاطلاع على عيوبها، ومن لن يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزائته، فإذا اطلع على عيوبها، مقتها في ذات الله تعالى.

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً)^(٤).

- وينبغي للمؤمن ألا يكتفي بالمقت فقط، وإنما يسعى إلى معالجة أمراضه، ويسعى إلى دواء شفاؤه.

- ويذكر الإمام ابن قيم الجوزية ما يعين على محاسبة النفس فيقول: (ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة: معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً)^(٥).

(١) أخرجه البيهقي في شعبه.

(٢) ميمون بن مهران الرقي أبو أيوب: فقيه من القضاة. كان مولى لامرأة بالكوفة. وأعتقته، فنشأ فيها. ثم استوطن الرقة فكان عالم الجزيرة، وسيدها. واستعمله عمر ابن عبد العزيز على خراجها وقضاها، وكان ثقة في الحديث، كثير العبادة، توفي سنة (١١٧هـ/٧٣٥م). [الأعلام للزركلي].

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين جزء ٧ ص ٥١.

(٤) أخرجه ابن عساكر في جامع الأحاديث.

(٥) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جزء ١ ص ٨٠.

- ويعينه عليها أيضاً: (معرفة أن ربح هذه التجارة سكنى الفردوس والنظر إلى وجه الرب سبحانه وخسارتها دخول النار والحجاب عن الرب تعالى فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطواتها وخطواتها فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا حظ لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فإضاعة هذه الأنفاس أو اشتراء صاحبها بما ما يجلب هلاكه: خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (١) (٢).

- ويرتبط بمحاسبة النفس مجاهدتها إن وجدها نزاعة للشهر، محبة للمعاصي، مسرعة إلى الهوى، تواقفة للشهوات، مهملة للفرائض، تاركة للنوافل، مبتعدة عن الطاعات، فوجب عليه أن يجاهدتها فيما تريده، ويخالفها فيما تحب.

- ومعنى يجاهد نفسه أي: يمنع نفسه أن ترتكب المحرمات، ويخالفها في حبها للمعاصي والأهواء والشهوات، وينهاها عن كل ما يبعتها عن الله ﷻ.

- ومجاهدة النفس تحتاج إلى إرادة قوية، وعزيمة صادقة، تنبع من إيمان هذا المسلم العميق، ومحبة الله سبحانه وتأييد الله له ومعونته، فهي تشبه مجاهدة العدو وقتاله، فلذلك سميت بالمجاهدة، بل جعلها النبي ﷺ الجهاد الأكبر فقال:

(١) سورة آل عمران: ٣٠.

(٢) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: جزء ١ ص ٨٠.

(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس)^(١).

- وقال ﷺ: (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّهِ ﷻ)^(٢).

- وقد يُسألُ المسلمُ نفسه كيف تكون المجاهدة؟

- أجاب القشيري عن هذا السؤال بقوله: (واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها:

فطم النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات.

وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير: إهماك في الشهوات، وامتناع عن

الطاعات فإذا جمحت عند ركوب الهوى وحب كبحتها بلجام التقوى، وإذا

حرنت عند القيام بالمواقفات يجب سوقها على خلاف الهوى)^(٣).

- وأنواع المجاهدة كثيرة، وكل مسلم يليق به نوع منها ربما لا يليق

بغيره، وذلك على قدر قوة المسلم وضعفه، وعلى قدر إرادته وقدرته،

وبحسب زمانه ومكانه.

- فمن المجاهدة: الإكثار من الصلاة والصيام، والصدقة والنوافل، والذكر

وقراءة القرآن، وغير ذلك مما فيه تقربٌ إلى الله، وبعدٌ عن هوى النفس.

- ومن المجاهدة مجالسة الصالحين، والعلماء العاملين، والإخوة المتقين،

ففي ذلك عون على إبعاد النفس عن مُشتهياتها، وعن غيها ومعصيتها.

- ومن المجاهدة حرمان النفس من مشتياتها ورغباتها وشهواتها، وذلك

عن طريق الإقلال من الطعام والنوم، ومع الصيام والقيام، فإن ذلك يساعد

على إضعافها، وإضعاف طلباتها.

(١) أخرجه البيهقي في شعبه عن جابر ﷺ.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير عن فضالة بن عبيد.

(٣) القشيري: الرسالة القشيرية: ص ٣٥.

ويتصل أيضاً بمحاسبة النفس معاتبة النفس ومعاقبتها وذلك إذا ارتكبت المعاصي أو قصرت في حق الله ﷻ، وتمادت في غيرها وتقصيرها، حتى ترتدع ولا تعود إلى مثل ذلك.

فهو يعاتبها على ذلك، ويذكرها بالله ﷻ الذي لا تخفى عليه خافية، ويذكرها بالموت والحساب، والجزاء والنار والعقاب.

فإن لم تقنع بالمعاتبة عاقبها على تقصيرها، وإهمالها لحق ربها، وارتكابها للذنوب والمعاصي.

- والمقصود من معاقبتها، حرمانها من بعض حقوقها والمباحات لها من طعام أو شراب أو نوم أو راحة أو رحلة أو نزهة أو غير ذلك مما تشتهيبه وتحبه وترغب فيه، مع الإكثار من تلاوة القرآن والذكر والصلاة والصوم والقيام والصدقات، وغير ذلك من أعمال الخير والطاعات، كي ترتدع عن غيرها، وتقصيرها وإهمالها، وترجع إلى بارئها.

- وقد أورد المحاسبي جواباً عن سؤاله: كيف أعاتب نفسي على ما جنت؟ فقال: (تفرق بينها وبين محاسنها، وتأخذ سوط الخشبية لها بدوام الرعاية لها في سعيها، وتضاعف عليها أورادها، وتزيد في كدها، وتنقص من غذائها، وتقطعها عن ملاذها، وتجرحها غيظ التهديد زجراً لها، حتى يغلب سلطان رعايتك سلطان كبرها، فعند ذلك تذلل في نفسها، وتخضع بعد كبرها، وتسقط من كلبها (شراستها) وشرها، وتمر على الاستقامة إلى خالقها، ومن الله التوفيق)^(١).

- وأخيراً: فنعلم أن معاتبة النفس سنة من سنن الصالحين دأبوا عليها كلما وجدوا من أنفسهم غفلة أو حياً لمعصية، وقد ذكر الغزالي في إحيائه

(١) الوصايا: ص ٢٣١.

كثيراً من هذه المعاتبة أنقل منها نموذجاً لمعاتبة الصالحين لأنفسهم أوردتها المقدسي: (واعلم: أن أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمانة بالسوء، ميالة إلى الشر، وقد أمرت بتقويمها وتزكيتهما وفضامها عن مواردنا، وأن تقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها، فإن أهملتها جمحت وشردت، ولم تظفر بها بعد ذلك، وإن لزمتهما بالتوبيخ رجونا أن تصير مطمئنة، فلا تغفلن عن تذكيرها. وسبيلك أن تقبل عليها، فتقرر عندها جهلها وغباوتها وتقول: يا نفس، ما أعظم جهلك، تدعين الذكاء والفتنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقاً، أما تعلمين أنك صائرة إلى الجنة أو النار؟ فكيف يلهو من لا يدرى إلى أيتهما يصير؟! وربما اختطف في يومه أو في غده! أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب، وأن الموت يأتي بغتة من غير موعد، ولا يتوقف على سن دون سن، بل كل نفس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة، وإن لم يكن الموت فجأة كان المرض فجأة، ثم يفضي إلى الموت. فمالك لا تستعدين للموت وهو قريب منك؟! يا نفس، إن كانت جراتك على معصية الله تعالى لاعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفرك، وإن كانت مع علمك باطلاعه عليك، فما أشد وقاحتك، وأقل حياءك! ألك طاقة على عذابه؟ جري ذلك بالعودة ساعة في الحمام، أو قرّبي أصبعك من النار، يا نفس إن كان المانع لك من الاستقامة حب الشهوات، فاطلي الشهوات الباقية الصافية عن الكدر، ورب أكلة منعت أكالات. وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويتهيأ لشربه طول العمر؟ فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة؟ أيصير ثلاثة أيام ليتنعم إلى الأبد أم يقضي شهوته في الحال ثم يلزمه الألم أبداً، فجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد، الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام

بالإضافة إلى جميع العمر، بل أقل من لحظة بالإضافة إلى عمر الدنيا. وليت شعري! ألم الصبر عن الشهوات أشد وأطول، أم ألم النار في الدركات؟ فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة، كيف يطيق ألم العذاب في الآخرة؟ أشغلك حب الجاه؟ أما بعد ستين سنة أو نحوها، لا تبقين أنت ولا من كان لك عنده جاه. هلا تركت الدنيا لخسة شركائها، وكثرة عنائها وخوفاً من سرعة فنائها؟ أتستبدلين بجوار رب العالمين صف النعال في صحبة الحمقى؟ قد ضاع أكثر البضاعة، وقد بقيت من العمر صباية، ولو استدركت ندمت على ما ضاع، فكيف إذا أضفت الأخير إلى الأول؟ اعلمي في أيام قصار لأيام طول، وأعددي الجواب للسؤل. اخرجي من الدنيا خروج الأحرار قبل أن تكون خروج اضطرار إنه من كانت مطيته الليل والنهار سير به وإن لم يسر. تفكري في هذه الموعظة، فإن عدمت تأثيرها، فابكِ على ما أصبت به فمستقى الدمع من بحر الرحمة^(١).



(١) المقدسي: مختصر منهاج القاصدين: ص ٣٧٧.

ثالثاً: مقام المحبة

- المحبة هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدم من مقدماتها.

الحُبُّ من العواطف الإنسانية البشرية، التي تَكْمُنُ في أعماقِ النفسِ، وتُظْهِرُ على الإنسانِ بشراً وسعادةً وسروراً.

- وأفضلُ تعريفٍ للحب هو: (الميلُ الدائمُ في أعماقِ القلبِ الهائمِ)، وإيثارُ المحبوبِ على جميعِ المصحوبِ، وموافقةُ الحبيبِ في الشهدِ والمغيبِ. والمحبة عروسٌ ومهرها النفوسُ ولها تخضع الرقابُ والرؤوسُ وهي للعارفِ نورٌ، وللجاهلِ نارٌ.

- والحب مأخوذة من الحُبُّ الذي هو إناء واسع يوضع فيه الشيء فيمتلئ به بحيث لا يسع غيره، لذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه.

- وللإنسانِ محبوباتٌ كثيرةٌ، منها محبة الله ﷻ ومحبة الرسول ﷺ ومحبة الصالحين ومحبة الوالدين، ومحبة الزوجة، ومحبة الأولاد، ومحبة الأرحام والأقارب، ومحبة المؤمنين إلى غير ذلك ولكلِّ محبوبٍ نوعٌ من الحب يختلفُ عن المحبوبات الأخرى ويرتبطُ بهذا الحبِ مُتعلِّقاتٌ تختلفُ من حبٍّ إلى آخر، فحبُّ الله يختلفُ عن حبِّ الوالدين وحبُّ الوالدين يختلفُ عن حبِّ الزوجةِ ويختلفُ عن حبِّ الأولادِ.

- وهكذا يمكنُ للقلبِ أن يُحِبَّ الجميعَ بآنٍ واحدٍ ولكن لكلِّ محبوبٍ توجُّهٌ خاصٌّ من القلبِ نحوهً.

- وفي مقام المحبة سنتناول الحديث عن محبة الله ﷻ ومحبة رسوله ﷺ
ومحبة الصالحين.

أولاً- محبة الله ﷻ:

- أهم محبوب عند المسلم الله ﷻ، بل محبة الله لا يماثلها شيء كما قال
تعالى مبيناً الفرق في المحبة بين الكافر والمؤمن: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن
دُونِ اللَّهِ أُنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(١).

- ومحبة الله هي الإيمان اليقيني الحق به، والأنس به والتقرب إليه.

- وحبُّ الله فرضٌ على كلِّ مسلم.

- بل ويجب على المسلم ألا يسيطر عليه شيء من محبوبات الدنيا، فيتقدم

حبه على حبِّ الله ﷻ قال سبحانه مبيناً ذلك: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

- وأكد الرسول ﷺ هذا المعنى، فقال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون
الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما)^(٣).

- ومن علامات محبة الله تعالى إتباع رسوله ﷺ، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) سورة التوبة: ٢٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ.

(٤) سورة آل عمران: ٣١.

- أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: (إني إنما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي فأياك أن تعلق قلبك منها بشيء فأيسر ما أعاقبك به أن أنسخ حلاوة حيي من قلبك)^(١).

- وكيف لا يُحبُّ المسلمُ ربَّهُ حباً عظيماً يَفوقُ كلَّ حُبٍّ! وقد أنعمَ اللهُ عليه بنعمٍ كثيرةٍ منها خَلَقَ اللهُ له، وتعريفُهُ به وأخذُهُ بيده إليه، وتسخيرُ ما في الدنيا جميعاً له قال ﷺ مذكراً عبادةً بهذه النعم: ﴿وَلِإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(٢).

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْتَرُونَ﴾^(٣).

- ويقول الرسول ﷺ: (أحبُّوا الله لما يعذُّوكم من نعمه)^(٤).

- كيف لا يحب القلب من لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يجيب الدعوات ويُقبل العثرات، ويغفر الخطيئات، ويستتر العورات، ويكشف الكربات، ويُغيث المستغيثين، ويقبل طلبات الداعين إلا هو؟

- فهو سبحانه أحقُّ من ذكرك، وأولى من شكره، وأحقُّ من عبده، وأجدرُّ من حمده، وأنصَرُّ من استنصره، وأرأفُّ من ملكه، وأجودُّ من سئله، وأوسعُّ من أعطى، وأرحمُّ من استرحم، وأكرمُّ من نصره، وأعزُّ من التَّجَّى إليه، وأكفى من تُوكَّل عليه، وأرحمُّ بعبده من الوالدة بولدها، وأشدُّ فرحاً بتوبة

(١) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء جزء ١٠ ص ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٣) سورة النحل: ٥٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

التائب من الفاقِدِ لراحلتِهِ التي عليها طعامُهُ وشرابُهُ في الأرضِ المهلِكَةِ، إذا
يئسَ من الحياةِ ثمَّ وجدها، وهو المَلِكُ لا شريكَ له، والفردُ لا نِدَّ لَهُ، كلُّ
شيءٍ هالِكٌ إلا وجهُهُ.

- إن محبة الله ﷻ هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة
ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فقدتها القلبُ كان ألمُّه أعظمَ من ألمِ العينِ إذا
فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، بل إن فساد القلب إذا خلا من محبة
فاطره وبارئه وإله الحق أعظمُ من فساد البدن إذا خلا من الروح وهذا الأمرُ
لا يُصدَّقُ به إلا من فيه حياة، وما بجرِّح بميتٍ إيلاً، وأهمُّ علامة على صدقِ
المسلم في محبة الله ﷻ طاعة الله والتزام أوامره والبعد عن معصيته.

- قال الحسن بن محمد ابن الحنفية^(١): من أحب حبيباً لم يعصه. ثم قال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه عار عليك إذا فعلت شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع

- وهناك علامات كثيرة للمحب الصادق ودلائل واضحة، منها زهدهُ
في الدنيا وبكاؤه على أخطائه، وتسليمه لأمر الله ورضاؤه بحكمه سبحانه قال
يحيى بن معاذ^(٢):

ومن الدلائل زهدهُ فيما يرى من دارِ ذلِّ والنعيمِ الزائلِ
ومن الدلائل أن تراه باكياً أن قد رآه على قبيحِ فعائلِ
ومن الدلائل أن تراه مسلماً كلَّ الأمورِ إلى المليكِ العادلِ

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق جزء ٢ ص ٤١٧.

(٢) أبو طالب المكي: قوت القلوب ص ٤٦٤.

ومن الدلائل أن تراه راضياً بمليكه في كل حُكْمٍ نازلٍ

- وإذا أحبَّ العبدُ ربه وسكنت محبته في قلبه أنارت بأنوار المحبوب فأثرت وأثمرت في القلب سبعة أشياء وهي: إخلاص النية لله، والخوف من الله، ورجاء ثواب الله، والصدق مع الله، والتوكل على الله، وحسن الظن بالله، والشوق إلى الله.

- من أحبَّ الله حقَّ المحبة هانَّ عليه أن يَمْتَثِلَ أوامره كاملةً، باذلاً في سبيله كلَّ ما يستطيع، مسروراً بما يُقدِّمه إرضاءً لمحبيه.

- لذلك فإنَّ هذه المحبة تدعو المسلم أن يتخلَّى عن المفاصد بشقي أنواعها وأشكالها، وأن يبادر إلى الأمور الصالحة التي يحبها الله ﷻ.

- وينبغي للمسلم أن يفتش قلبه ويتعرف مقدار حبه لله ويعلم أن كمال الإيمان بالله بكمال محبته ويعلم أيضاً أن الأسباب الجالبة لمحبة الله كثيرة أهمها عشرة ذكرها ابن القيم الجوزية:

(أولاً: الإكثارُ من قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وتطبيق أوامره والابتعاد عن نواهيه.

ثانياً: التقرب إلى الله ﷻ بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصل إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

ثالثاً: دوامُ ذكره على كلِّ حالٍ باللسان والقلب والعمل والحال، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره والله ﷻ يقول:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) ﴿١﴾.

(١) سورة الأحزاب: ٤١.

رابعاً: إيثارُ محابِّه على محابِّك عند غَلَباتِ الهوى والسَّعيِ إلى محابِّه وإنْ صَعَبَ المُرْتَقَى.

خامساً: مطالعةُ القلبِ لأسماءِ اللهِ الحُسنى وصفاته العُلَيَّا ومُشاهدتها ومَعرفتها وتقلُّبه في رياضها.

سادساً: مشاهدَةُ برِّه وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها طريقٌ إلى محبته.

سابعاً: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى تَذلُّلاً وتواضعاً.

ثامناً: الخلوَّةُ به وقت النزولِ الإلهي في الثلثِ الأخيرِ من الليلِ لمناجاته وتلاوةِ كلامه والوقوفِ بالقلبِ بحضرتِهِ والتأدبِ بأدبِ العبوديةِ بين يديه ثم حَتْمُ ذلكَ بالاستغفارِ والتوبةِ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) (١).

وورد عن النبي ﷺ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَنْقُضُ الثَّلَاثَ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) (٢).

تاسعاً: مجالسةُ المحبين الصادقين، والتقاطُ أطايبِ ثمراتِ كلامهم كما يُنتقى أطايبُ الثمرِ.

عاشراً: مباحدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ (٣).

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٣) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين ص ١١ و١٢.

- جاء في كتاب إحياء علوم الدين، ورد أن الله أوحى إلى بعض الصديقين: (إن لي عبداً يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكروهم، وينظرون إليّ وأنظروا إليهم، فإن سلكت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عن ذلك مقتك، قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يُراعون الظلالَ بالنهارِ كما يُراعي الراعي غنمه، ويحْتنون إلى غروب الشمس كما تحنُّ الطيرُ إلى أوكارها، فإذا جنَّهم الليلُ واحتلَّط الظلامُ وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه، نصبوا إليّ أقدامهم، وافترشوا لي وجوههم، وناجوني بكلامي وتملقوا إليّ بأنعامي فهم بين صارخٍ وبكٍ، وبين متأوهٍ وشاكٍ، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي.

أول ما أعطيتهم: أن أقذف من نُوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أُخبر عنهم،

والثاني: لو كانت السماوات السبع والأرضون وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم،

والثالث: أُقبل بوجهي عليهم، أيعلم أحدُهم ما أريدُ أن أُعطيهِ^(١).
وينبغي للمحب أن يعلم أن من أحبَّ الله، أحبه الله سبحانه، ومن ارتدَّ عن دينه وابتعد عن محبة ربه، فسوف يأتي الله بقوم يحبُّهم ويحبُّونه كما قال تعالى:
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرِّدٍ مِنْكُم مِّنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾^(٢).
- ومن أحبه الله أحبه جبريلُ والملائكةُ ونال القبولَ والسعادةَ في الدنيا والآخرة، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (إذا أحبَّ الله

(١) الغزالي: جزء ٢ ص ٢٠٣.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبّه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضّع له القبول في الأرض^(١).

- محبة الحق سبحانه وتعالى للعبد هي مدحه له وثناؤه عليه بالجميل مع إحسان مخصوص يلقي الله العبد به، وحالة مخصوصة يرقه إليها.

- أما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تطف عن العبارة مع تعظيمه، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه.

كما قال أحد المحبين^(٢):

فأختارهم ورضي بهم خداما	لله قوم أخلصوا في حبه
أبصرت قوماً سجداً وقياماً	قوم إذا جن الظلام عليهم
ويكابدون به النهار صياماً	يتلذذون بذكره في ليلهم

- كذلك ينبغي للمحب أن يعلم أن من أراد أن يحبه الله سعى للاتصاف بالصفات التي يحبها الله والتي ذكرها في القرآن الكريم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣).

- وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) ابن الجوزي: بستان الواعظين ورياض السامعين ص ٢٦٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٤) سورة الصف: ٤.

- وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥) (١).

- وقال ﷻ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) (٢).

- وقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٦١) (٣).

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٦) (٤).

- وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤٢) (٥).

- ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٦).

- يا رب ليس العجب من حيي لك وأنا عبد فقير، ولكن العجب من حبك لي يا رب وأنت ملك قدير.

- ويجب على المحب لله ﷻ أن يتعد عما لا يحبه الله ﷻ من صفات

ذكرها في قرآنه مثل:

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران: ٧٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٥) سورة المائدة: ٤٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٥) ﴿١﴾.

- وقوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣) ﴿٢﴾.

- وقوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٧) ﴿٣﴾.

- وعن داود وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن الله ﷻ أوحى لهم: (أحِبِّي وأحبَّ من يحبني وحببني إلى خلقي، قال: يا ربَّ أحبِّك وأحبَّ من يحبِّك، فكيف أحببكَ إلى خلقتك؟ فقال ﷻ: اذكُرني لحسن الجميل واذكر آلامي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل) (٤).

- فالموفقُ كلُّ التوفيقِ مَنْ يسعى لكسبِ محبةِ الله له، فهي أعظمُ منزلةٍ يناها المسلمُ، لأنَّ منها هدايةُ الله وتأييده ونصره ومعونته.

- يا رب ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب عمل صالح يقربنا إلى حبك.

- كيف لا أحبُّك يا ربَّ يا من أذاقَ أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه مُتهجدين، ويا مَنْ ألبسَ أولياءه ملابسَ هيئته فقاموا بحضرتِهِ مُستغفرين.

- كيف لا أحبُّك يا ربَّ، فماذا وجدَ من فقدك؟ وماذا فقدَ مَنْ وجدك؟، لقد خابَ من رَضِيَ بسواك بديلاً، وخسرَ من بقي عنك مُتحوّلاً.

- إلهي كيف لا أحبُّك، وكيف أرجو سواك وأنتَ ما قطعْتَ إحسانك عني؟ وما بدَّلتَ عادةَ الامتنانِ عليَّ بنعمك.

(١) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٢) سورة الحديد: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران: ٥٧.

(٤) أبو طالب المكي: قوت القلوب ص ٣١١.

- يا رب كيف لا أُحِبُّكَ وأنت الذاكرُ قبل الذاكرين، وأنت البادئُ
بالإحسانِ من قَبْلِ تَوَجُّهِ العابدين وأنت الجوادُ بالعطاء من قَبْلِ طَلَبِ
الطالبين، وأنت الوهابُ ثم أنتَ لما وهبنا من المستقرضين.

- إلهي كيف لا أُحِبُّكَ وأنتَ الحبيبُ؟ وكيف أُحِبُّكَ وأنتَ أُمَلِي؟ أم
كيف أهانُ، وعليكَ مَتَكَلِّي، أم كيف أضلُّ وأنتَ ذليلي وكيف أُمَرِّضُ
وأنتَ طبيبي؟

- إلهي كيف لا أُحِبُّكَ وأنتَ الذي نَعَمْتَنِي، فلم تجدني شاكراً وابتليتني
فلم تجدني صابراً، فلا أنتَ سَلَبْتَ النعمة بتركِ الشُّكْرِ ولا أَدَمْتَ الشَّدَةَ بتركِ
الصبرِ.

- إلهي أنتَ الكَرِيمُ وما يكونُ من الكَرِيمِ إلا الكَرَمُ كما قال الشاعر:

يا جَمِيلِ الصُّنْعِ يا مَنْ كَلَّمَا	دَهَمَ الأَمْرُ جَلا ما دَهَمَا
يا غياثَ المُستغيثين، ويا	ماضِيَ الحُكْمِ إذا ما حَكَمَا
نَفْسَ الأَمْرِ علينا سُرْعَةً	إنَّ ذا الأَمْرِ علينا عَظْمَا
واستجب منا دُعانا كَرَمًا	يا كَرِما أنتَ رَبُّ الكَرَمَا

يا هنيئاً لكم أيها المحبون لله.

هنيئاً لك يا رَسُولَ اللَّهِ مَحَبَّتِكَ اللَّهُ ومَحَبَّةَ اللَّهِ لك.

هنيئاً لكم يا صحابةَ رَسُولِ اللَّهِ مَحَبَّتِكُمْ اللَّهُ ومَحَبَّةَ اللَّهِ لكم.

هنيئاً لكم يا أحبابَ اللَّهِ مَحَبَّتِكُمْ اللَّهُ ومَحَبَّةَ اللَّهِ لكم.

هنيئاً لك يا رابعةَ مَحَبَّتِكَ اللَّهُ ومَحَبَّةَ اللَّهِ لك.

كنت عندما تنتهين من عمل الدنيا تتفرغين لعبادة الله، كُنْتِ إِذا جَنَّ
الليلُ تقولين: لقد ائْتَشَعَلُ كُلُّ حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ وأنتَ حَبِيبِي يا اللَّهُ.

وحقك ما عبدتُكَ خوفاً من نارك ولا طمَعاً في جنتِكَ ولكن عبدتُكَ
لأنك تستحقُّ العِبَادَةَ.

- (دخل على رابعة لصرٌ ليسرقها فجمع الأمتعة وأراد أن يخرج من
الباب فلم يجد الباب فوضع المتاع فوجد الباب فحمل المتاع فلم يجد الباب
فسمع صوتاً يقول: أَحَبَّتْنَا فَأَحْبَبْنَاهَا، وانشغلت بنا فلم تَنشغل عنها، أترك
المتاع تر الباب فترك المتاع وخرج وتاب إلى الله ﷻ^(١)).

فلنستمع إلى مناجاتها لربها لحبيبها في الليل^(٢):

أُحِبُّكَ حَبِيبِ، حُبُّ الهوى وحباً لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذي هو حُبُّ الهوى فَشُغِلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ
وأما الذي أنت أهلٌ له فَكَشِّفْكَ لِي الْحُجْبَ حَتَّى أَرَكَ
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا
اللهم ارزقنا هذا الحبَّ، ودُلْنَا عليه، وفرغ قلوبنا له، ولا تَشغَلْنَا عنه،
يا كريم.

قال أحمد بن أبي الحواري^(٣): (دخلت على أبي سليمان (وهو من
الزهاد) وهو يبكي فقلت له: مِمَّ تبكي؟ فقال لي: ويحك يا أحمد، كيف

(١) انظر: محمد عطية حميس الحامي: رابعة العدوية.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء.

(٣) أحمد بن أبي الحواري أبو العباس الدمشقي عبد الله بن ميمون، صحب الداراني
وغيره. كان الجنيد يقول فيه: إنه ريحانة أهل الشام. توفي سنة ٢٤٠هـ عن اثنتين
وثمانين سنة. [طبقات الأولياء]

لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جن الليل وهدأت العيون، وخلا كل خليل بخليله، وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته ورددوا كلامه بأصوات محزونة جرت دموعهم على حدودهم وتقطرت في محاريبهم خوفاً واشتياقاً، فأشرف عليهم الجليل جل جلاله فنظر إليهم فأمدهم محبة وسروراً، فقال لهم: أحبائي والعارفين بي، اشتغلوا بي وألقوا عن قلوبكم ذكر غيري، أبشروا فإن لكم عندي الكرامة والقربة يوم تلقوني، فينادي الله جبريل: يا جبريل، بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلي وأناخ بفنائتي، وإني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وبكاءهم، وأرى تقلبهم واجتهادهم، فناد فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء الذي أسمع، وما هذا التضرع الذي أرى منكم؟ هل سمعتم أو أحرركم عني أحد أن حبيباً يعذب أحبائه؟ أو ما علمتم أني كريم فكيف لا أرضى؟ أيشبه كرمي أن أرد قوماً قصدوني؟ أم كيف أذل قوماً تعززوا بي؟ أم كيف أحجب غداً أقواماً آثروني على جميع خلقي وعلى أنفسهم وتنعموا بذكري؟ أم كيف يشبه رحمتي أو كيف يمكن أن أبيت قوماً تملقوا لي وقوفاً على أقدامهم، وعند البيات أحزوهم؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قوماً إذا جنهم الليل تملقوني، وكيفما كانوا انقطعوا إلي واستراحوا إلى ذكري وخافوا عذابي وطلبوا القربة عندي، في حلفت لأرفعن الوحشة عن قلوبهم، ولأكونن أنيسهم حتى يلقوني، فإذا قدموا إلي أنظر إليهم، ثم لهم عندي ما لا يعلمه غيري. يا أحمد، إن فاتني ما ذكرت لك فيحق لي أن أبكي دماً بعد الدموع. قال أحمد: فأخذت معه بالبكاء، ثم خرجت من عنده وتركته بالباب، فكنت أرى أثر ذلك عليه حتى الممات^(١).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء.

ثانياً - محبة النبي ﷺ:

- هذا النبي ﷺ الذي اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون خاتم الأنبياء والرسل وتكون رسالته خاتمة الرسالات السماوية.

- إنَّه الرسولُ الكريمُ الرؤوفُ الرحيمُ الذي أخرجنا اللهُ به من الظلماتِ إلى النورِ ومن الضلالةِ إلى الهدى ومن الجهلِ إلى العلمِ ومن الضَّعْفِ إلى القوَّةِ ومن الذُّلِّ إلى الرفعةِ ومن الفرقةِ إلى الوحدَةِ ومن النزاعِ والخصامِ إلى المحبةِ والوئامِ، حتى كُنَّا بهديه وتوجيهه خيرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناسِ.

- فليسَ بعدَ اللهِ تعالى أحدٌ آمنٌ علينا من رسولنا ومحبتُهُ في الحقيقةِ شُعبَةٌ من محبةِ اللهِ ﷻ. لا يمكنُ الفصلُ بينهما فمن أحبَّ اللهُ فلا بدَّ له من محبةِ رسولهِ ومن أحبَّ الرسولَ فلا بدَّ له من محبةِ اللهِ، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(١).

- والآياتُ التي تَحَدَّثُ عن محبةِ اللهِ التي تَسْتَلْزِمُ طاعتهُ تُوكِّدُ على محبةِ رسولهِ وكذلك أحاديثُ النبي ﷺ في هذا الأمرِ.

- عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله)^(٢).

- وقال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران: ٣١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) سورة النساء: ٨٠.

- وقد قال النبي ﷺ: (أحبوا الله لما يعذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله إياي، وأحبوا أهل بيتي لحبي) (١).

- لذا فإن الإنسان لا يكون مؤمناً حتى يحب رسول الله ﷺ بل حتى يكون حبه أحب إليه من كل شيء.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) (٢).

- ويروى أن النبي ﷺ كان آخذاً بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله: (لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي)، فقال النبي ﷺ: ((لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك))، فقال له عمر: (فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي) فقال النبي ﷺ: ((الآن يا عمر)) (٣). يعني: الآن كمل إيمانك يا عمر.

- هذه المحبة لرسول الله ﷺ تظهر في كل مؤمن آمن بالله ورسوله تظهر في أعماله وأقواله وأفعاله، تظهر في دفاعه عن دينه ومعتقده، تظهر في العمل بأحاديث النبي ﷺ والسير على سنته، تظهر في تربته لأولاده وأهله عملاً بقول النبي ﷺ: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وقراءة القرآن) (٤).

- وتظهر في الشوق إلى زيارته والوقوف أمام حجرته والسلام عليه وتظهر في حب رؤيته في الدنيا وشفاعته في الآخرة، وقد ظهرت هذه المحبة

(١) أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٤) أخرجه الديلمي وابن نجار في جامع الأحاديث.

واضحاً عندما قامَ أحدُ الشياطينِ من الإنسِ بتشويهِ صورةِ النبي ﷺ
فهَبَّ جميعُ المسلمينِ وفي جميعِ بقاعِ الأرضِ، هَبَّ مِليارٌ ونصفٌ باستنكارِ
هذا الفعلِ الشنيعِ وإظهارِ حُبِّهِمِ لِنَبِيِّهِمْ ودفاعِهِمِ عنه ﷺ فقَامَتِ الدنِيا
ولم تَقْعُدْ.

ولنْ تَقْعُدَ حَتَّى يَعْلَمَ الْعَالَمُ كُلُّهُ أَجْمَعُ مَقْدَارَ حُبِّنَا لِنَبِيِّنَا وَفِدَائِنَا لَهُ بِكُلِّ
مَا نَمْلِكُ.

- كَيْفَ لَا نَكُونُ مِمَّنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ ﷺ وَالنَّبِيَّ ﷺ يَشْهَدُ بِمَحَبَّتِنَا لَهُ وَيُخْبِرُ
عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ أَحَدَنَا يَتَمَنَّى رُؤْيَيْتَهُ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَشَدَّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ
يَكُونُونَ بَعْدِي يُوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ)^(١).

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: (السَّلَامُ
عَلَيْكُمْ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا
إِخْوَانَتَنَا)، قَالُوا: (أَوْ لَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ)، قَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي
وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ)، فَقَالُوا: (كَيْفَ نَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ)، فَقَالَ: (أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غَرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي
خَيْلٍ دَهْمٍ بِهِمْ^(٢) أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ) قَالُوا: (بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ
غُرًّا مُحَجَّلِينَ^(٣) مِنَ الْوَضُوءِ)^(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) دهمٌ بهم: السوادُّ الكامل.

(٣) غرٌ محجلين: بياضٌ في جبهة الفرس فوق الدرهم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه.

- ولو سألتنا سائلٌ لماذا تحبون رسول الله هذه المحبة الشديدة فإننا نقول له بلسانٍ واحدٍ: إن محبتنا لرسول الله ﷺ لها كثير من الدواعي والموجبات نذكر منها:

أولاً: الله ﷻ أوجب محبته وطاعته وقرنها بمحبته سبحانه وطاعته وقد ذكرت من قبل من الآيات والأحاديث ما يدل على ذلك.

ثانياً: لأن الله تعالى أحبه واختاره من بين خلقه واصطفاه لرسالته الخاتمة وفضله على جميع مخلوقاته.

وأفضل الخلق على الإطلاق	نبينا فحل عن الشقاق
محمد بشر وليس كالبشر	بل هو ياقوتة والناس كالخجر
وليس في الخلق من ند بمائله	فالأنبياء نجوم وهو كالقمر

ثالثاً: لرافته ورحمته بأمته وحرصه على هدايتها وإنقاذها من النار.

- قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٨) (١).

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ مَن يَعْصِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٦) (٢) وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨) (٣)، فرفع يديه

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٦.

(٣) سورة المائدة: ١١٨.

وقال: (اللهم أمتي، أمتي وبكى)، فقال الله ﷻ: (يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم ما يبيحك؟)، فاتاه جبريل ﷻ فسأله: (فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم)، فقال الله ﷻ: (يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إننا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)^(١).

وأخبره ﷺ في رحمته بأمرته ورافته أكثر من أن تحصى.

رابعاً: لأن دينه خير دين وشريعته وتعاليمه وتوجيهاته أحسن الشرائع.

خامساً: لعطفه وشفقته على أمة فمن عطفه ﷺ أنه أذخر دعوته إلى يوم القيامة لتكون شفاعته لأمة في أهم الأوقات وأحرجها.

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)^(٢).

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما رأيت من النبي ﷺ طيب نفس قلت يا رسول الله ادع الله لي قال: اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسررت وما أعلنت، فضحكك عائشة رضي الله عنها حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك فقال رسول الله ﷺ: أيسرُك دعائي فقالت: ومالي لا يسرني دعاؤك فقال ﷺ والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاتي)^(٣).

- ينبغي للمسلم أن يتعلم الحب لرسول الله ﷺ من الصحابة الكرام، هذا الحب الذي عبر عنه سيدنا علي كرم الله وجهه عندما سئل كيف كان

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) أخرجه البزار في مسنده.

حُبِّكُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (كَانَ وَاللَّهِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَاً)^(١).

- تَحَدَّثَ رِجَالٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَتْهُمْ فَضَّلُوهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: (وَاللَّهِ لِلَّيْلَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، وَلِيَوْمٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، لَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَنْطَلِقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ: مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ وَسَاعَةً خَلْفِي؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكَرُ الْطَّلَبَ فَاَمْشِي خَلْفَكَ ثُمَّ أَذْكَرُ الرِّصْدَ فَاَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا كَانَتْ لَتَكُونَ مِنْ مُلْمَءَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِي دُونَكَ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْغَارِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أُسْتَبْرَأَ لَكَ الْغَارَ فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُسْتَبْرَأَ الْجِحْرَةَ^(٢)، فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أُسْتَبْرَأَ الْجِحْرَةَ فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَ ثُمَّ قَالَ: أَنْزَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَزَلَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَلِكِ اللَّيْلَةَ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ)^(٣).

- هَذَا حُبُّ الرِّجَالِ فَكَيْفَ كَانَ حُبُّ النِّسَاءِ لِلرَّسُولِ ﷺ؟

- خَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عِنْدَ عَوْدَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ وَقَدْ قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجُهَا فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ وَكَانُوا مِنْ شَهِدَاءِ الْقِتَالِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: خَيْرًا هُوَ مُحَمَّدٌ كَمَا

(١) الثعالبي: مزار القلوب في المضاف والمنسوب ص ١٨٨.

(٢) والجحرة: جمع جحر وهو الحفرة التي تأوي إليها الهوامُّ وصغار الحيوان.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک.

تحيين، قالت: (أرونيه حتى أنظرَ إليه، فلما رأته قالت: (كلُّ مصيبةٍ بعدك جَلَلٌ يا رسولَ اللهِ)^(١).

- وينبغي للمحب أن يعلم أن الحُبَّ هو بدايةُ الإيمانِ وهو تمامُهُ وغايَتُهُ لأنه انعطافُ النفسِ إلى المحبوبِ وما تزالُ النفسُ تنعطفُ حتى لا تكادُ تهفو إلا إلى ما يُشيرُ بهِ المحبوبُ، قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ بهِ)^(٢).

- ومن أحبَّ رسولَ اللهِ ﷺ فعليه أن يُقيمَ على حُبِّه هذا دليلاً ودليلاً العملِ والاتباعِ هديه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣).

لأن حُبَّكَ للنبي ﷺ يقتضي اتباعك له في أقواله وأفعاله وفي حركاته وسكناته وفي كل أحواله.

- عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ومن أحيا سنتي فقد أحببني)^(٤).
- وإذا أردت أن تُحشَرَ معه ﷺ فعليك أن تحبَّه محبةً صادقةً، فقد روى أنسُ بن مالكٍ رضي الله عنه قال جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال يا رسولَ اللهِ متى الساعة؟ قال وما أعددتُ للساعةِ قال حبُّ اللهِ ورسوله قال فإنك مع من أحببتَ قال أنسٌ فما فرحنا بعدَ الإسلامِ فرحاً أشدَّ من قولِ النبي ﷺ فإنك مع من أحببتَ قال أنسٌ فأنا أحبُّ اللهُ ورسوله وأبا بكرٍ وعمرَ فأرجو أن

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

(٢) أخرجه البخاري في رفع اليدين عن عبد الله بن عمرو.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه.

أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ^(١).

- وعن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب)^(٢).

أي في الآخرة بل قبل الموت وعند الموت وبعد الموت، معهم حباً وأنساً ونعيماً فهنيئاً لكم يا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- وعن عبد الله بن زيد أنه قال: (يا رسول الله إذا مُتَّ ومُتْنَا كُنْتَ فِي عَلَيْنَ لَا نَرَاكَ وَلَا نَجْتَمِعُ بِكَ، وَذَكَرَ حُزْنَ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣)^(٤).

ثالثاً- محبة الصالحين:

- ينبغي لمن أحب الله صلى الله عليه وسلم وأحب رسوله صلى الله عليه وسلم أن يحب الصالحين.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوثق عرى الإيمان أن تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ)^(٥).

- الصالحون الذين أمرنا بحبهم، ومجاورتهم، أصحاب المكانة العظيمة التي أعطاهم الله إياها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) سورة النساء: ٦٩.

(٤) رواه القرطبي في تفسيره.

(٥) أخرجه أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

يقرأ المسلم في كل ركعة من ركعات الصلاة بسورة الفاتحة ويقولُ
 فيها: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ خَيْرَ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾﴾^(١).

- فالمؤمن يُطلبُ من الله، أن يهديه الصراطَ المستقيمَ، الصراطَ الذي
 اتَّبَعَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وذكَّرَهُمْ في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ
 الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
 رَفِيقًا ﴿٢١﴾﴾^(٢).

- فالدرجةُ الأولى لهؤلاء الذين أنعم الله عليهم، درجةُ الأنبياءِ ثم
 الصِّدِّيقِينَ ثم الشهداءِ ثم الصالحينَ.
 - فالصالحون هم من الذين أنعم الله عليهم، وممن قالَ اللهُ عنهم:
 ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

- والصلحون هم الذين ذكرهم اللهُ ﷻ في كثيرٍ من آياته وهو يتحدثُ
 عن المؤمنين الصادقين كما في قوله سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ
 ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾^(٣).
 - ومن أعمال هؤلاء الصالحين التي مدحهم سبحانه بها ما ذكره في
 قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَهُ الَّيْلِ وَهُمْ

(١) سورة الفاتحة: ٦-٧.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) سورة العصر: ١-٣.

يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴿١﴾ .

- وقد وصفَ المحاسبي^(٢) هؤلاء الصالحينَ فقال: (كانوا للمسكنة مُحِبِّينَ، ومن خَوفِ الْفَقْرِ آمِنِينَ، وبِاللَّهِ تَعَالَى فِي أَرْزَاقِهِمْ وَاثِقِينَ، وَعِمْقَادِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُسْرُورِينَ، وَفِي الْبَلَاءِ رَاضِينَ، وَفِي الرِّخَاءِ شَاكِرِينَ، وَفِي الضَّرَّاءِ صَابِرِينَ، وَفِي السَّرَّاءِ حَامِدِينَ، وَكَانُوا لِلَّهِ مُتَوَاضِعِينَ، وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ مُؤَثِّرِينَ، وَعَنْ حُبِّ الْعُلُوِّ وَالتَّكَاثُرِ وَرَعِينَ، وَكَانُوا إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا حَزَنُوا، وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ الْفَقْرُ قَالُوا: مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ)^(٣) .

- إِذَا هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ إِيمَانًا يَقِينًا وَأَحْبَوْهُ مَحَبَّةً لَا تَبْلُغُهَا مَحَبَّةٌ، وَأَحْبَوْا نَبِيَّهُ الْمُصْطَفَى ﷺ وَتَمَسَّكُوا بِتَعَالِيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَطَبَّقُوا سُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَعَمَلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِهَا، وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَى عَنْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَمَلًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِمَا كَتَبَ اللَّهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^(٤) .

- ثُمَّ تَتَّبِعُوا سِيرَ الصَّالِحِينَ وَعَمَلُوا بِأَعْمَالِهِمْ فَسَارُوا سَيْرَهُمْ، وَنَهَجُوا نَهَجَهُمْ، تَطْبِيقًا وَسُلُوكًا.

(١) سورة آل عمران: ١١٣-١١٤ .

(٢) المحاسبي الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد سنة (٢٤٣هـ/٨٥٧م). وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. [الأعلام للزركلي]

(٣) انظر المحاسبي: الوصايا.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ.

هؤلاء الصالحون لهم المكانة العالية عند الله عز وجل وعند الناس، ولقد ذَكَرَ اللهُ عز وجل هذه المكانة العالية لهم في قرآنه الكريم، في آياتٍ تجاوزت السبعين، نذكرُ منها قوله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (١).

- وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (٢).

- وقال أيضاً سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (٣).

- ويكفيهم فخراً أنهم الوارثون الحقيقيون لهذه الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (٤).

- ويكفيهم فخراً أن من فرائض الصلاة أن يقرأ المصلّي التشهّد في كل صلاة ويقول فيه بعد أن يُثني على الله سبحانه وتعالى، ويصلي على نبيه ﷺ: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

- ما أعظم أن نتحدّث عن هؤلاء الصالحين، وما أجل أن نُحبّهم، وأن

(١) سورة البقرة: ٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٧.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٥.

نسعى إلى أن نكون منهم أو معهم، قال سفيان بن عيينة^(١): (عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة)^(٢).

- وقال محمد بن يونس^(٣): (ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين)^(٤).

- وقد كان الأئمة الكبار من السلف إذا ذكروا الصالحون في مجلس جلسوا متأدبين رعاية لمقامهم، ولو كانوا غائبين فلا أقل من أن تترحم عليهم نحن الخلفاء - إن فاتنا التأدب عند ذكرهم.

- قال الإمام المحدث الفاضل أبو زرعة^(٥): (كنت عند أحمد بن حنبل فذكر إبراهيم بن طهمان - وهو من العلماء الفضلاء - وكان متكئا من علة فجلس وقال لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكأ)^(٦).

(١) (سفيان بن عيينة) أبو محمد: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي من شيوخ البخاري. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها سنة (١٩٨هـ/٨١٤م). كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر. [الأعلام للزركلي]

(٢) ابن الجوزي: صفوة الصفوة.

(٣) ابن يونس: أبو حامد، محمد بن يونس بن محمد بن منعة، عماد الدين الموصلية: إمام وقته في فقه الشافعية. من أئمة الحديث، ولد بقلعة إربل ونشأ بالموصل، وتفقه ببغداد وتقدم عند نور الدين أرسلان شاه (صاحب الموصل) وسار رسولا عنه إلى بغداد مرات، وإلى الملك العادل (نور الدين) بدمشق. وولي القضاء بالموصل وانفصل عنه بعد خمسة أشهر توفي سنة (٦٠٨ هـ / ١٢١١ م). [الأعلام للزركلي]

(٤) ابن الجوزي: صفوة الصفوة.

(٥) (أبو زرعة الدمشقي): عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصراني، من أئمة زمانه في الحديث ورجاله. من أهل دمشق، ووفاته بها سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) [الأعلام للزركلي].

(٦) تذكرة الحفاظ.

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴿١﴾ .

- هؤلاء الصحابة الذين ذكرَ ابنُ عباسٍ أنهم المقصودون بقوله تعالى:

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ ﴿٢﴾ .

فقال هم: أصحابُ محمدٍ اصطفاهم اللهُ لِنبيِّهِ ﷺ .

- عن عبدِ اللهِ بنِ مُعْقِلِ المزيُّ ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ اللهُ

في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشكُ أن يأخذه» ﴿٣﴾ .

- قال أبو زرعة الرازي^(٤) رحمه اللهُ: تُوفِّيَ النبيُّ ﷺ ومن رآه وسمعَ منه

زيادةً على مئة ألفِ إنسانٍ من رجلٍ وامرأة، كلُّهم قد روى عنه سماعاً أو رؤية، ومن المعروف أن بعضَ هؤلاء من السابقين إلى الإسلام، وبعضهم من المهاجرين، وهناك الأنصار، وهناك الأطفال الذين وُلِدُوا في عهده ورأوه ﷺ، وهناك الأعرابُ وأهلُ البادية الذين حضروا حجةَ الوداعِ وهم كثيرون جداً.

- قال المحدثُ ابنُ حجرٍ رحمه اللهُ: ومع ذلك فلم يحصُلْ لنا من ذلك

جميعاً الوقوفُ على العُشرِ من أسامي الصحابةِ حيثُ لم تُضَبَّطْ أسماؤهم لكثرةِ

(١) سورة التوبة: ١٠٠ .

(٢) سورة النمل: ٥٩ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه .

(٤) أبو زرعة الرازي: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، من

حفاظ الحديث. من أهل الري. زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل. كان

يحفظ مئة ألف حديث توفي سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م). [الأعلام للزركلي]

من ماتَ في خلافةِ أبي بكرٍ في حروبِ الردةِ، والفتوحاتِ، ثم من ماتَ في خلافةِ عمرَ في الفتوحاتِ والطاعونِ.

- وذهبَ جمهورُ المسلمينَ إلى أنْ أفضلَ الصحابةِ على الإطلاقِ: أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ، ثم تمامُ العشرةِ المبشرينِ بالجنةِ، وهم: أبو عبيدةُ بنُ الجراحِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، وطلحةُ بنُ عبيدِ الله، والزبيرُ بنُ العوامِ، وسعيدُ بنُ زيدٍ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ. وهؤلاءُ جميعاً من الذينَ سَبَقُوا في الإيمانِ وتحملُوا المشاقَّ في الدفاعِ عن الإسلامِ، وصدَّقُوا اللهَ ورسولَهُ، ثم أهلُ بدرٍ، ثم أهلُ أُحدٍ، ثم أهلُ بيعةِ الرضوانِ، ثم بقيةُ الصحابةِ الكرامِ.

- ولقد أَرشدَنَا النبيُّ ﷺ إلى مكانةِ هؤلاءِ الصحابةِ بقولِهِ: «فعلَيْكُمْ بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(١).

- عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ؓ قال: (من كانَ مُسْتَنَّاً فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ أولئكُ أصحابُ محمدٍ ﷺ كانوا خَيْرَ هذهِ الأمةِ أبرَّها قلوباً وأعمقَها عِلْماً وأقلَّها تكلفاً قومٌ اختارَهُم اللهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَقَلَ دِينَهُ فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهَمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ)^(٢).

- قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ؓ: (أنتمُ أكثرُ صلاةً وأكثرُ صياماً من أصحابِ محمدٍ ﷺ وهم كانوا خيراً منكم قالوا: وبِمِ؟ قال: كانوا أزهدَ منكم في الدنيا وأرغَبَ منكم في الآخرةِ)^(٣).

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء.

- ويأتي بعد الصحابة في الفضل والصلاح، التابعون لهم، ثم من تبعهم كما قال ﷺ: «خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم»^(١).

- ثم يأتي من بعدهم في الصلاح والخيرية من تبعهم إلى يوم الدين من أهل العلم والذكر والتقوى والصلاح.

- لذلك ينبغي لكل مسلم أن يحب كل أولئك الصالحين فمحبتهم واجبة. وفي هذا يقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: (لولا ثلاث في الدنيا لما أحببت البقاء فيها، لولا أن أحمل أو أجهز جيشاً في سبيل الله، وثانيها، لولا مكابدة هذا الليل - قيام الليل والعبادة فيه لتحصيل مافيه من جزيل الثواب -، وثالثها، لولا مجالسة أقوام ينتقون أطيب الكلام كما ينتقى أطيب الثمر)^(٢).

- ولقد كان كبار الصالحين يسعون للاجتماع بالصالحين ورؤيتهم، والاستماع إليهم ليزدادوا صلاحاً وحباً لله ورسوله وأهل الصلاح، وكان لذلك تأثير كبير في تعميق إيمانهم وحبهم وفي صلاح أعمالهم، وفي ذلك يقول الشافعي^(٣):

أحبُّ الصالحينَ وكُستُ منهم لعلِّي أنالَ بهم شفاعَةَ
وأكرهُ من تجارثته المعاصي ولو كُنَّا سَواءً في البِضاعَةَ

- قال أشعث بن عبد الله^(٤): (كنا إذا دخلنا على الحسن البصري -

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) ابن قيم الجوزية: مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ص ١٢٠.

(٣) أحمد قيش: مجمع الحكم والأمثال، باب التقوى.

(٤) أشعث بن عبد الله: ابن جابر الأزدي ثم الحداني، البصري، الأعمى. وهو الذي يقال له أشعث البصري، وأشعث الأعمى، وأشعث الأزدي، وأشعث الحملي من رواة الحديث روى عن أنس بن مالك ﷺ، وذلك في سنن أبي داود. [الذهبي: سير أعلام النبلاء]

وهو من التابعين - خرجنا ولا نُعدُّ الدنيا شيئاً^(١).

- وقال يونسُ بنُ عبيد^(٢): (كَانَ الرَّجُلُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ انْتَفَعَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَرَ عَمَلَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ كَلَامَهُ)^(٣).

ودليل ذلك جوابُ النبي ﷺ وقد سُئِلَ أَيُّ جَلْسَاتِنَا خَيْرٌ، فَقَالَ: مَنْ ذَكَرَكُمْ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنَاطِقَهُ، وَذَكَرَكُمْ الْآخِرَةَ عَمَلُهُ^(٤).

- وعن أنسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِذِكْرِ اللَّهِ، إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ»^(٥).

فمن الواجب على كلِّ مؤمنٍ أَنْ يُحِبَّ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ، فمَحَبَّتُهُمْ سَعَادَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

- عن معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغِيظُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ»^(٦).

- يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالمُتَرَاوِرِّينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِّينَ فِيَّ)^(٧).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء.

(٢) يونس بن عبيد: أبو عبد الله أو أبو عبيد يونس بن عبيد بن دينار العبدي بالولاء، البصري، من حفاظ الحديث الثقات. من أصحاب الحسن البصري. كان من أهل البصرة.. ونعته الذهبي بأحد أعلام الهدى. له نحو مئتي حديث توفي سنة (١٣٩ هـ / ٧٥٦م). [الأعلام للزركلي]

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية.

(٤) أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عباس.

(٥) أخرجه ابن حبان.

(٦) أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح.

(٧) أخرجه مالك في الموطأ بإسناد صحيح.

اللهم اجعلنا منهم ومنَ الصالحين الذين تحبهم، واجعلنا من أحبِّهم.

- أخيراً: ينبغي لكل منا أن يحبَّ الصالحين، وأن يسعى لئلا يكون معهم ومنهم، والطريق للوصول إلى ذلك، هو الإيمان الحقُّ بالله تعالى، والأعمال الصالحة التي يكون فيها القربى منه جلَّ وعلا، فينطبق علينا قولُ ربنا: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٩).

ونردُّ قولَ نبيِّ الله سليمان الذي وردَ في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١).

- وعندَ ذلك ينطبقُ علينا قولُ ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَأَدْخِلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١).

- ومع سعيِّنا لذلك تعالوا نردِّد الدعاء وهو مما علَّمنا الله في قرآنِه:

﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١١).

- وينبغي للمحب للصالحين أن يردد قوله سبحانه:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣).

(١) سورة العنكبوت: ٩.

(٢) سورة النمل: ١٩.

(٣) سورة الأنبياء: ٨٦.

(٤) سورة يوسف: ١٠١.

(٥) سورة الشعراء: ٨٣.

- وما أجمل أن نردد دعاء داود عليه السلام: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ
مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يَبْلُغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي
وَأَهْلِي مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ) ^(١).

اللهم اجعلنا من الصالحين، واجمعنا معهم، وارزقنا محبتهم.



(١) أخرجه الترمذي والحاكم.

رابعاً - مقام التقوى

- مقام التقوى مقام عظيم فقد ذكر الله التقوى في قرآنه مع اشتقاقها (٢٦٩ مرة) وإذا اجتمعت التقوى مع الإيمان تحققت الولاية لله ﷻ، قال تعالى: ﴿الْإِيمَانُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأُولِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾﴾^(١).

- والتقوى كلمة جامعة شاملة وهي - وإن قل لفظها - كثيرة المعنى شاملة لخيرى الدارين.

- والتقوى لغة: من الاتقاء، وهو طلب السلامة بما يحجز عن المخافة.
- والتقوى معناها في الأصل: جعل النفس في وقاية مما تخاف.
- واتقى الله: خاف عقابه فتجنب ما يكره.
- وتقوى الله: خشيته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.
- والتقوى في اصطلاح الشرع والعقل: حفظ النفس عما يشينها ويعرضها للملامة أو العذاب، وذلك بترك أسباب السخط والعقوبة، وفعل الفرائض المنجية المؤدية إلى النعيم والثواب.
- وأصل التقوى: اتقاء الشرك، ثم بعد ذلك اتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعد ذلك اتقاء الشبهات، ثم بعد ذلك ترك الفضلات، ومع كل ذلك الالتزام بالفرائض والواجبات، والأوامر والطاعات.
- وقد عرف الصحابة والتابعون، والعلماء التقوى بتعاريف كثيرة منها:

(١) سورة يونس: ٦٢-٦٣.

- قال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ قال: «أخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى»^(١).

أي أن التقوى تشميرٌ لأداء الطاعاتِ وحذرٌ من المعاصي والسيئات. نعم التقوى: إحساسٌ في الضمير، وخشيةٌ مستمرة، وتشميرٌ واجتهادٌ، واستعدادٌ ليوم المعاد.

- التقىُّ يعملُ بقولِ سيدنا علي رضي الله عنه: (التقوى هي: الخوفُ من الجليل، والعملُ بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعدادُ ليومِ الرحيل)^(٢).

- حقيقة المتقي ليست بالمظاهر وإنما هي بالحقائق كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خيرٌ إلى خير)^(٣).

- حقيقة المتقي أن يكون ظاهره وباطنه سواء كما قيل: لا يُلغُ الرجلُ سَنَامَ التقوى إلا أن يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبقٍ، فطيف به في السوق لم يستح منه.

- وهذا يتفق مع ما قاله أهل التقوى: (أن لا يراك الله حيثُ هناك، وأن لا يفقدك حيثُ أمرك)^(٤).

(١) البيهقي في الزهد الكبير.

(٢) النووي: الأربعين النووية.

(٣) البيهقي في الزهد الكبير.

(٤) تفسير الألوسي وفي ابن كثير: البداية والنهاية.

- ومع قولهم: التقوى اتقاء عذاب الله بصالح العمل، والخشية منه في السر والعلن.

- وفي هذا يقول ابن المعتز^(١):

حل الذنوب صغيرها وكبرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى
- التقى فرح بأنه أصبح من أولياء الله الذين يتولاهم الله بفضله وعنايته
لقوله سبحانه: ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢)
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٣).

- التقى فرح بما سيناله من العلم اللدني والتوفيق الإلهي لقوله سبحانه:
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٣).
- التقى في حالة سرور دائم لأنه يشعر بأن الله معه بالعون والتأييد
والنصر يردد دائما قوله سبحانه: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ
فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدِّوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٤).

(١) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء جزء ١ ص ٤٨٩.

(٢) سورة يونس: ٦٢-٦٣.

(٣) سورة البقرة ٢٨٢.

(٤) سورة البقرة ١٩٤.

- فَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ، كَانَ مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ فَقَدْ
كُلُّ شَيْءٍ، الْمُتَّقِي يُخَاطَبُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: إلهي ماذا فَعَدَّ من وجدك! إلهي ماذا
وَجَدَ من فَعَدَّك!، الْمُتَّقِي يَفْرَحُ بِحُبِّ اللَّهِ لَهُ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) (١).

- الْمُتَّقِي وَاثِقٌ بِقَبُولِ اللَّهِ أَعْمَالَهُ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) (٢).

- الْمُتَّقِي مُطْمَئِنٌّ بِتَكْفِيرِ اللَّهِ لِسَيِّئَاتِهِ وَتَعْظِيمِ أَجْرِهِ لِأَنَّهُ يَقْرَأُ دَائِمًا قَوْلَهُ

سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنَّا سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (٥) (٣).

- الْمُتَّقِي يَسِيرُ وَاثِقٌ الْخَطَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ سِيرِشْدُهُ

إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ الْمُسْتَقِيمِ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَفَّوْا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١٣) (٤).

- الْمُتَّقِي لَا يَخَافُ مِنَ الْأَزْمَاتِ وَالْعُقُوبَاتِ الَّتِي تَوَاجَهُهُ وَلَا مِنْ أَنْ تُغْلَقَ

أَبْوَابُ الْأَرْزَاقِ فِي وَجْهِهِ لِأَنَّهُ عَلَى ثِقَةٍ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣) (٥).

(١) سورة آل عمران: ٧٦.

(٢) سورة المائدة: ٢٧.

(٣) سورة الطلاق: ٥.

(٤) سورة الأنفال: ٢٩.

(٥) سورة الطلاق: ٢-٣.

- المتقي فرحٌ بكلِّ ما ينالُه في الدنيا وهو على يقينٍ بتكريم الله له وتفضُّله عليه في الآخرة لأن تقواه في الدنيا سببٌ لنجاته من النار في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَاوْرِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ (١).

- والتقي يأمل أن يصير إلى المكانة العالية والمنزلة الرفيعة في الجنة التي وعده الله إياها بقوله سبحانه:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٢).

- وقوله سبحانه: ﴿ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْفِقِينَ خَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (٣١) ﴿ (٣).

- وقوله ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) ﴿ (٤).

- وقوله سبحانه: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٦٣) ﴿ (٥).

- هذه نتائج التقوى التي وصانا بها الله ﷻ وأمرنا بملازمتها فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ (٦).

(١) سورة مريم: ٧١-٧٢.

(٢) سورة القمر: ٥٤-٥٥.

(٣) سورة ق: ٣١.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٢.

(٥) سورة مريم: ٦٣.

(٦) سورة آل عمران: ١٠٢.

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾^(١).

- وقال جل جلاله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

- كذلك النبي ﷺ كان يكثر من الوصية بالتقوى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا نبي الله أوصني فقال: «عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير»^(٣).

- وعن أبي ذرٍّ ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن»^(٤).

- ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ الوصية فكان جل وصاياه لهم تقوى الله ﷻ. قال أبو ذر: قلت يا رسول الله أوصني قال رسول الله ﷺ: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله»^(٥).

- ولقد بين النبي ﷺ مكانة المتقين فقال: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»^(٦).

(١) سورة النساء: ١٣١.

(٢) سورة الحشر: ١٨.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده والطبراني في الصغير.

(٤) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه ابن حبان.

(٦) أخرجه أحمد وهو حديث صحيح.

- وَعَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَطْلُبَ التَّقْوَى فِي دَعَائِنَا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
الْهُدَى وَالتَّقْوَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى»^(١).

- وَلَمْ يَزَلِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَالسَّلْفُ الصَّالِحُ جَمِيعاً يَتَوَاصَوْنَ بِالتَّقْوَى
فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ، فَهَذَا سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ كَانَ
يَقُولُ فِي أَكْثَرِ خُطْبِهِ: (أَمَا بَعْدَ فِإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَّقْوَى اللَّهِ....)^(٢).

- وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ وَعَهَّدَ إِلَى عَمْرِ ﷺ دَعَاهُ وَوَصَّاهُ بِوَصِيَّةٍ، وَأَوَّلُ مَا
قَالَ لَهُ: (اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمْرُ)^(٣).

- وَكَتَبَ سَيِّدُنَا عَمْرٌ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَمَا بَعْدَ فِإِنِّي
أَوْصِيكَ بِتَّقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَّاهُ، وَمَنْ
أَقْرَضَهُ جِزَاهُ، وَمَنْ شَكَرَ زَادَهُ، وَلَتَكُنَّ التَّقْوَى نَصَبَ عَيْنِكَ وَعِمَادَ عَمَلِكَ
وَجَلَاءَ قَلْبِكَ، فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ^(٤) لَهُ، وَلَا مَالَ
لِمَنْ لَا رَفْقَ لَهُ، وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ^(٥) لَهُ)^(٦).

- قَالَ كَتَبَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى رَجُلٍ: (أَوْصِيكَ بِتَّقْوَى اللَّهِ الَّذِي لَا
يَقْبَلُ غَيْرَهَا وَلَا يَرْحَمُ إِلَّا أَهْلَهَا وَلَا يَثِيبُ إِلَّا عَلَيْهَا فَانِ الوَاعِظِينَ بِهَا كَثِيرٌ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالحَاكِمُ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَبُو نَعِيمٍ.

(٤) الْحِسْبَةُ: الْحِسَابُ وَيُقَالُ فُلَانٌ حَسَنَ الْحِسْبَةِ فِي الْأَمْرِ يَحْسُنُ تَدْبِيرَهُ، وَفَعَلَهُ حِسْبَةً
مَدْحَرًا أَجْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ [المعجم الوسيط] يَعْنِي لَا أَجْرَ لِمَنْ لَمْ يَحْتَسِبْ ثَوَابَ عَمَلِهِ
عِنْدَ اللَّهِ ﷻ.

(٥) الْخَلْقُ: الثَّوْبُ الْبَالِي.

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي التَّقْوَى فِي جَامِعِ الْأَحَادِيثِ.

والعاملين بما قليل^(١).

- قد يقول قائلٌ إذا كانت التقوى بهذه المنزلة في الإسلام فهي صفةٌ لا بدَّ منها للمؤمن لينالَ رضاءَ الله ورضوانَهُ ويُحَقِّقَ السعادةَ في الدارين. فكيفَ نكونُ من المؤمنين الحقيقيين؟ ألا تُصِفُ لنا أعمالَ التقي، أقول: المتقي من يحافظُ على جميعِ الطاعاتِ على أحسنِ وجهٍ ويعملُ بأوامرِ الله على أفضلِ صورةٍ ويتعدُّ عن المعاصي ولو صغرتُ وعمَّا نهى الله عنه في السرِّ والعلنِ.

- المتقي مخلصٌ في أقواله وأعماله ونياته مُبتعدٌ عن الرياءِ في جميعِ أشكاله.

- المتقي يُداوم على قراءة القرآن وحفظه، وعلى ذكرِ الله في كلِّ أحواله مُبتعداً عن العَفَلاتِ والمُلَهياتِ، المتقي يسعى إلى عالمِ مُرَبِّ يُجِلسُ بين يديه ليتربَّى على يديه ويرشدهُ إلى الطريقِ المستقيمِ ويُعرِّفه بالمنهجِ السليمِ.

- المتقي بارٌّ بوالديه واصلٌ لأرحامه مُبتعدٌ عن العقوقِ والقطيعةِ.

- المتقي عارفٌ لواجباته مُؤدِّ حقوقِ الآخرينَ يتعاونُ معهم على البرِّ والتقوى مُبتعدٌ عن النفاقِ والفسوقِ لا يَحْسُدُ ولا يَحْقُدُ ولا يَخُونُ ولا يكذبُ ولا يستغيبُ ولا يهزأُ ولا يَسْخَرُ من الآخرينَ أبداً.

- المتقي يَغُضُّ بصرَهُ عن الحرامِ ويحفظُ القلبَ واللسانَ ويتعدُّ عن أهلِ الخنى والعصيانِ.

- المتقي مُتَمَسِّكٌ بالحلالِ مهما كانَ صعبَ المنالِ شعاره: مهما قلَّ الحلالُ فالبركةُ فيه، مُبتعدٌ عن الحرامِ مهما كانَ سهلَ المنالِ شعاره: أما الحرامُ فالماتُ دونهُ.

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء.

- المتقي هو الذي يطلبُ الحلالَ ويتعدُّ عن الحرامِ واضعاً نُصْبَ عينيه
قول النبي ﷺ: «طلبُ الحلالِ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ»^(١).
- لا يَغيبُ عنه قولُ النبي ﷺ: «من اشترى ثوباً بعشرةِ دراهمٍ وفيها
درهمٌ واحدٌ من حرامٍ لم يقبلِ اللهُ له من صلاةٍ ما دامَ عليه»^(٢).
- تراه خائفاً من أن ينطبقَ عليه قولُ النبي ﷺ: «يأتي على الناسِ زمانٌ لا
يبالي المرءُ ما أخذَ أمِنَ الحلالِ أم من الحرامِ، فإذا ذاك لا تُجابُ لهم دعوةٌ»^(٣).
- سألَ سعدُ ؓ رسولَ اللهِ ﷺ أن يكونَ مُجابَ الدعوةِ فقالَ له ﷺ:
«يا سعدُ أطبُ مطعمَكَ»^(٤) تكنُ مُستجابَ الدعوةِ والذي نفسِي بيده إنَّ العبدَ
ليقدِفُ اللقمةَ الحرامَ في جوفِهِ ما يُتقبَلُ منه عملٌ أربعينَ يوماً وأيماً عبدٍ نبتَ
لحمُهُ من سحتٍ فالنارُ أولى به»^(٥).
- المتقي يسعى إلى أن يصلَ إلى أعلى مستوى من التقوى وهو ما
يُسمَّى بالورعِ، والورعُ هو أن يجتنبَ المسلمُ الشبهاتِ خوفاً من الوقوعِ في
الحرَماتِ، وأن لا يُسْرِفَ في المباحاتِ تطبيقاً لقولِ النبي ﷺ: «إن الرجلَ لا
يكونُ من المتقين حتى يدعَ ما لا بأسَ به، حذراً مما به بأسٌ»^(٦).
- قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي هريرة ؓ: «كن ورِعاً تكنُ أعبدَ الناسِ»^(٧).

(١) أخرجه الطبراني بإسناد حسن.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٤) أي اجعل طعامَكَ حلالاً.

(٥) أخرجه الطبراني الأوسط.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک.

(٧) أخرجه ابن ماجه والبيهقي.

وَيُعْبَرُ عَنْ ذَلِكَ أَحَدِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنه فيقول: (كنا نَدْعُ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ) ^(١).

- وَعَبَّرَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: (كنا نَدْعُ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي الْحَرَامِ) ^(٢).

- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لو صليتم حتى تكونوا كالخنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تَبْلُغُوا الاستقامة) ^(٣).

- (وهذا حسان بن أبي سنان ^(٤) كان لا ينام مضطجعا حتى لا يفوته التهجد، رُمي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيراً إلا أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها.

ورُمي عُتْبَةُ الْغَلَامِ ^(٥) وهو من كبار الصالحين في مكان يتصبَّبُ عَرَقاً فِي الشِّتَاءِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: (إنه مكان عصيتُ الله فيه فسئل عنه فقال: كَشَطْتُ مِنْ هَذَا الْجِدَارِ قِطْعَةً طِينٍ غَسَلْتُ بِهَا ضَيْفٌ لِي يَدَهُ وَلَمْ أَسْتَحِلَّ مِنْ صَاحِبِهِ.

(١) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين جزء ص ٢٢.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.

(٣) أخرجه ابن عساکر والديلمي في جامع الأحاديث عن عمر رضي الله عنه.

(٤) ابن أبي سنان: حسان بن أبي سنان بن أبي أوفى عوف التنوخي مترجم، كان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية. من أهل الأنبار. كان نصرانياً وأسلم. ورأى أنس بن مالك رضي الله عنه، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية توفي سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م). [الأعلام للزركلي]

(٥) هو عتبة الغلام الزاهد الخاشع الخائف، عتبة بن أبان البصري، كان يشبه في حزنه بالحسن البصري [ابن الجوزي: صفة الصفوة]

فقال عبدُ الله ممتحنًا له فما عسى أن يصنعَ مولاك إن قلتَ أكلها الذئبُ؟
فمضى الراعي وهو يرفعُ إصْبَعَهُ إلى السماءِ ويقولُ بصوتٍ ملاً أركانَ
الصحراءِ: فأينَ اللهُ؟ فأينَ اللهُ؟ فأينَ اللهُ؟ فلم يزلْ ابنُ عمرَ يقولُ وهو يبكي
فأينَ اللهُ فأينَ اللهُ ثمَّ بعثَ إلى سيِّدِ العبدِ فاشترَاهُ منه واشترى الغنمَ فأعتقَ
الراعيَ ووهبَهُ الغنمَ^(١).

وقال إبراهيم بن أدهم: (بت ليلة تحت الصخرة بيت المقدس؛ فلما كان
بعض الليل نزل ملكان، فقال أحدهما لصاحبه: من هاهنا؟ فقال الآخر:
إبراهيم بن أدهم.

فقال: ذاك الذي حط اللهُ سبحانه درجة من درجاته.

فقال: لم؟ قال: لأنه اشترى بالبصرة تمرًا، ف وقعت ثمرةٌ على ثمره من تمرِ
البحال، فلم يردها على صاحبها.

قال إبراهيم: فمضيت إلى البصرة، واشتريت التمر من ذلك الرجل،
وأوقعتُ ثمرةً على ثمره، ورجعت إلى بيت المقدس، وبت تحت الصخرة.
فلما كان بعض الليل، إذ أنا بملكين نزلا من السماء.

فقال أحدهما لصاحبه: من هاهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم: فقال:
ذلك الذي رد اللهُ مكانه، ورُفعت درجته^(٢).



(١) الطبراني: أحسن المحاسن ص ١٨٦.

(٢) الرسالة القشيرية: ص ١٠٨.

خامساً - مقام الإخلاص

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (١).

- افتتح أصحاب الصِّحاح كتبهم بالحديث المشهور الذي رواه سيِّدنا عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى»... إلى آخر الحديث (٢).

(قال العلماء في هذا الحديث: ليس في أخبارِ النبي صلى الله عليه وسلم شيءٌ أجمع، وأغنى وأكثرَ فائدةً، من هذا الحديث).

- ورُوِيَ عن الشافعيِّ وأحمد بن حنبلٍ وغيرهم من العلماء رحمهم اللهُ تعالى، أنهم قالوا: هذا الحديثُ ثلثُ الإسلامِ (٣).

- في هذا الحديث تنبيهٌ هامٌ للمسلمين لأهمية النية، وأنَّ أيَّ عملٍ تَلَزَمَهُ النيةُ، وبالنية ينال الإنسانُ الحسناتِ أو السيئاتِ، ولا يُقبَلُ عملٌ بغيرِ نيةٍ، والعملُ المقبولُ، هو ما أخلَصَ المؤمنُ فيه نِيَّتَهُ، وجعلَهُ خالصاً لوجهِ اللهِ، لا يُشركُ به أحداً، ولا يُريدُ به وجهَ أحدٍ إلا اللهُ سبحانه وتعالى، وهذا العملُ يُسمى إخلاصاً، أي جعلَهُ المرءُ خالصاً لله تعالى، وبذلك ينالُ العبدُ ثوابَ العملِ من اللهُ سبحانه وتعالى.

- قال الإمام ابن القيم رحمه اللهُ عن النية: (هي رأس الأمر وعموده، وأساسه وأصله الذي يبني عليه، فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابعٌ

(١) سورة الزمر: ١١.

(٢) أخرجه الشيخان، وأبو داود، والنسائي.

(٣) ابن حجر: فتح الباري جزء ١ ص ٢.

لها يبنى عليها، يصح بصحتها ويفسد بفسادها، وما يستجلب التوفيق،
وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة^(١).

- وسئل النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ فقال: «سألتُ جبريلَ عليه
السلامُ عن الإخلاصِ ما هو؟ قال: سألتُ ربَّ العزةِ عن الإخلاصِ ما هو؟
قال: سرٌّ من سرِّي استودعته قلباً من أحببته من عبادي»^(٢).

- ومن هذا القبيل، قول أبي القاسم القشيري رحمه الله معرفاً للإخلاص:
(الإخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته
التقرب إلى الله سبحانه دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب صفة
حميدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب
إلى الله تعالى، ويصح أن يقال: الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة
المخلوقين، ويصح أن يقال: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص)^(٣).

- وقال الجنيد: (الإخلاصُ سرٌّ بينَ اللهِ والعبدِ، لا يعلمُهُ مَلَكٌ، فيكتبُهُ،
ولا شيطانٌ، فيفسدُهُ، ولا هوى، فيمِيلُهُ)^(٤).

- وقال ذو النون المصري: (ثلاثٌ من علاماتِ الإخلاصِ: استواءُ
المدحِ والذمِّ من العامَّةِ، ونسيانُ رؤيةِ الأعمالِ، ونسيانُ اقتضاءِ ثوابِ العملِ
في الآخرةِ)^(٥).

(١) إعلام الموقعين جزء ٤ ص ٩٩.

(٢) أخرجه القزويني في مسلسلاته عن حذيفة.

(٣) الرسالة القشيرية: ص ٢٠٧.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٠٨.

(٥) المصدر نفسه: ص ٢٠٨.

- فالإخلاصُ ألا تطلبَ على عملِكَ شاهداً غيرَ الله، ولا مجازياً سواه.
 حيث رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنه سمعَ رجلاً يقولُ: (قَرَأْتُ البَارِحَةَ البَقْرَةَ،
 فقالَ: ذلكَ حظُّكَ منها، أيُّ هذا الإعلانُ هو ثوابُكَ منها)^(١).
 - وسُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: (أيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ عَلَى النَّفْسِ؟ فقالَ: الإِخْلَاصُ
 لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ)^(٢).

- والإِخْلَاصُ مصدرٌ وفعله أَخْلَصَ، وبمجردِ الفعلِ خَلَصَ، ومعناه: صفاً
 وزالَ عنه ما يَشُوْبُهُ مِنَ الشُّوَابِ، فذهبَ خالِصٌ: ذهبَ صافٍ لا شائِبَةَ فِيهِ.
 - وَأَخْلَصَ الشَّيْءُ: صفاه ونقاها مما يشوبه.

- وكلمة الإِخْلَاصِ كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله.
 - وسورة الإِخْلَاصِ هي سورة: قل هو الله أحد، وهي سورة التوحيد.
 - والإِخْلَاصُ شرعاً: هو صفاء النية، ونقاء السريرة من الشرك والرياء،
 وإرادة وجه الله تعالى، وحياسة رضاه في كل اعتقاد أو قول أو عمل.
 - ولِلِإِخْلَاصِ أهميةٌ كبرى فهو طريق رضا الرحمن، وقبول الأعمال،
 ورفع الدرجات، والوصول إلى الجنات، وله أهمية في دفع الفتن عن الأمة، قالَ
 رسولُ اللهِ ﷺ: «طوبى للمخلصين أولئك مصابيحُ الدُّجَى تنجلي عنهم كلُّ
 فتنَةٍ ظلماتٍ»^(٣).

- ولِلِإِخْلَاصِ أيضاً أهميةٌ كبرى في تكوينِ شخصيَّةِ المسلم، لأنَّهُ يحتاجُ
 إلى إيمانٍ يقينيٍّ، وصدقٍ ربانيٍّ، وإرادةٍ فولاذيةٍ، وهمةٍ عاليةٍ، وصبرٍ شديدٍ.

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين جزء ٥ ص ٦٣.

(٢) الرسالة القشيرية: ص ٢٠٩.

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه.

- والإخلاصُ يُضادُهُ الشركُ الخفيُّ أي الرياءُ، فمن لم يكن مُخلصاً، فهو مُشركٌ، إلا أنَّ الشُّركَ درجاتٌ، فالإخلاصُ وضِدُّه، يتواردانِ على القلبِ، لأنَّ الإخلاصَ محلُّه القلبُ، وإنما يكونُ ذلكُ في المقاصدِ والنياتِ، ومن هنا جاءتْ أهميةُ الإخلاصِ، لأنَّهُ سرٌّ ولا يُطلَعُ عليه إلا اللهُ سبحانهُ فيكونُ الإخلاصُ، بالتوجُّهِ إلى اللهُ وحدهُ، وإفراجهُ بالتوحيدِ والعبادةِ، والطاعةِ، والحبِّ، والتذلُّلِ، والتخشُّعِ، قاصداً من كلِّ ذلكِ، إرضاءهُ سبحانهُ دونَ سواه، في كلِّ عملٍ من أعمالِهِ، وحركةٍ من حركاتِهِ، وسكينةٍ من سكِّناتِهِ، وخطرةٍ، من خطراتِ قلبِهِ، وحديثِ نفسه.

- يقول اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١) ﴿١﴾.

- وقد وردَ في سببِ نزولِ هذه الآيةِ، عدَّةُ أقوالٍ منها:

- قولُ ابنِ عباسٍ ؓ: (نزلتْ في جُنْدُبِ بنِ زهيرِ العامريِّ، قال: قالَ يا رسولَ اللهِ، إني أعملُ العملَ لله تعالى، وأريدُ وجهَ اللهِ تعالى، إلا أنَّه إذا أطلعَ عليه سرِّي، فقالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهُ طيِّبٌ، ولا يَقْبَلُ إلا الطيِّبَ، ولا يقبلُ ما سُورِكَ فيه» فنزلت الآية (٢).

- وقالَ طاووسٌ (٣): (قالَ رجلٌ يا رسولَ اللهِ، إني أحبُّ الجهادَ في سبيلِ

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک.

(٣) طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليماني التابعي الكبير المشهور، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، أخذ القرآن عن ابن عباس ومُعظم روايته عنه، مات بمكة سنة (١٠٦هـ) [ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء].

الله وأحبُّ أن يُرى مكاني، فنزلت الآية^(١).

- وقال مجاهد: (جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أتصدق، وأصل الرِّحْم، ولا أصنع ذلك إلا لله تعالى، فيذكرُ ذلك مني، وأحمدُ عليه، فيسرُّني ذلك، وأعجبُ به، فسكت رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئاً، فنزلت الآية^(٢)).

- ومهما كان سببُ نزولِ الآية، فالعبرةُ في عمومِها، لأنَّ الإخلاصَ مطلوبٌ في كلِّ شيء.

- لذلك، فإنَّ سيِّدنا عمرَ رضي الله عنه عندما كان يقرأ، أو يسمعُ هذه الآية، كان يقول: (اللَّهُمَّ اجعلْ عملي كلُّهُ صالحاً، واجعله لك خالصاً، ولا تجعلْ لغيرك منه شيئاً)^(٣).

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكرُ المسيحَ الدجال، فقال: «ألا أخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيحِ الدجال؟، قال: قلنا بلى، فقال: الشركُ الخفيُّ، أن يقومَ الرجلُ فيصلي فيزيِّنُ صلاته، لما يرى من نظيرِ رجلٍ»^(٤)).

- وفي الأثر: (من صَلَّى يُرائي فقد أشرك)^(٥).

- وجاء أيضاً: (ومن تصدَّق يُرائي فقد أشرك)^(٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن.

(٣) أبو الشيخ الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان.

(٤) أخرجه ابن ماجه، والبيهقي، والحاكم.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک.

- وقياساً على ذلك، من صام يُرائي فقد أشرك، ومن حجَّ يُرائي فقد أشرك، وكذلك جميع الأعمال التي يُرائى بها، فصاحبها قد أشرك، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك»^(١).

- مما سبق نجد أن الرياء وهو الشرك الخفي، هو تقيض الإخلاص، والرياء إذا دخل الأعمال الصالحة، وإن كانت في أتم صورها، يعلبها إلى أعمال تُوجب اللوم والعقوبة، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾^(٢).

- وقال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ عَلَى الْمَاعُونَ ۝١٣﴾^(٣).

- لذلك قال رسول الله ﷺ: «أخلص دينك يكفك العمل القليل»^(٤).

- والمؤمن الحق يرتقي بإخلاصه إلى أرفع الدرجات، وهي عبادة الله وحده، يبتغي وجهه، دون أن يقصد ثواباً.

- وكما قال الشاعر:

فما مقصودهم جنات عدن ولا الحور الحسنان ولا الخيام

سوى نظير الجليل وذا مناهم وهذا مقصد القوم الكرام

- وكما قالت رابعة: (يا رب، ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في

جنتك، وإنما عبدتك لذاتك، لأنك تستحق ذلك).

(١) أخرجه ابن ماجه.

(٢) سورة الماعون: ٤-٧.

(٣) سورة الفرقان: ٢٣.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدرکه عن معاذ ؓ.

- لأنه لو لم يكن ثمة ثواب، ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، لما تأخر الصادقون عن عبادة ربهم، لأنهم يعبدون الله حباً له، وطلباً لقربه، ورضوانه، بعد أن أدركوا نعمه وآلاءه، وذاقوا بره وإحسانه. وليس معنى هذا أنهم لا يحبون دخول الجنة، ولا يرغبون في البعد عن النار، فهم يحبون الجنة ويطلبونها، لأنها مظهر حب الله، ورضائه وقربه، ويكرهون النار، ويخافونها، لأنها مظهر سخط الله وغضبه ونقمته، ولعظيم شأن النية، تحدث عنها العلماء كثيراً، وتبها إلى أهميتها.

- قال يحيى بن كثير^(١): (تعلموا النية، فإنها أبلغ من العمل)^(٢).

- وقال ابن المبارك: (رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعظِّمُهُ النيةُ، ورُبَّ عملٍ كبيرٍ تُصغِّرُهُ النيةُ)^(٣).

- وقال آخرون: (تجارة النيات، تجارة العلماء، وذلك لأن العلماء يعرفون كيف يدخلون النية في جميع أعمالهم، مهما تنوعت، فيحصلون على ما يريدون، مع حصول الثواب على تلك الأعمال وإن كانت مما يدخل في مجال العادات، فباستحضارهم للنية الصالحة مع هذه الأعمال تصبح أعمالاً صالحة).

- فالتطيب مثلاً، إذا قصد به التلذذ والتنعيم، فهو مباح، وإن توي به اتباع سنة الرسول ﷺ فهو قُرْبَى، وفيه ثواب، وإن توي به التودد إلى قلوب النساء الأجنبية، أو التفاخر والتكاثر، فهذا يجعل التطيب معصية، ويوجب

(١) يحيى بن كثير بن درهم، أبو غسان العنبري البصري الحافظ. قال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال النسائي: ليس به بأس. توفي سنة (٢٠٦هـ). [سير أعلام النبلاء]

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء.

(٣) ابن أبي الدنيا: الإخلاص والنية ص ٧٣.

العقوبة، وكذلك سائر الأعمال.

- فإذا، المباح بالنية الصالحة، يرتفع إلى درجة الطاعة ورضاء الله، وبالنية الفاسدة يتحول إلى معصية، أكل الطعام وشرب الماء مباح، فإن نويتنا بهما نية صالحة فقلنا: (بسم الله الرحمن الرحيم، نويت التقوي على طاعة الله). حصلنا على ثواب كبير.

- وكذلك في العمل: (نويت فتح محلي وقضاء حوائج عباد الله) بهذه النية نحصل على ثواب كبير، وفي زيارة مريض: (نويت عيادته تقرباً لله تعالى)، وفي التعزية: (نويت تعزية أهل الميت لله تعالى امتثالاً لأمر النبي ﷺ وأداءً لحق الأخوة الإيمانية)، وكذلك في الزواج: (إن كانت النية تعففاً عن الحرام وغضاً للبصر، وهكذا في سائر الأعمال).

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾^(١).

- وقد بين النبي ﷺ أهمية النية، فقد روى أبو كبشة ؓ، عن النبي ﷺ قال: «إنما الدنيا، لأربعة نفر:

عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية فيقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علماً، فهو يتخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم فيه لله حقاً فهذا بأخبث المنازل.

(١) سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

وعبدٌ لم يرزقه الله مالا، ولا علما وهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بينته فوزرهما سوا، أو كما قال ﷺ»^(١).

- وينبغي للمسلم أن يعلم أن للإخلاص ثمرات وفوائد كثيرة يجنيها إن تحقق به من أهمها:

أولاً- الإخلاص وسيلة هامة من وسائل تفريج الكرب والأحزان، وحل لكثير من الأمراض والمشاكل التي تواجهه في الدنيا، وأظهر شيء لهذا الموضوع حديث رسول الله ﷺ: فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا إلى غار فدخلوه، فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينحيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فأنفرت شيئا لا يستطيعون الخروج». قال النبي ﷺ: «وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين، فحاءني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه. فتحرجت من الوقوع عليها،

(١) أخرجه أحمد والترمذي.

فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا، اللَّهُمَّ
 إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتْ
 الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ
 اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ
 وَذَهَبَ فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ
 اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ
 وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ
 كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ
 فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»^(١).

ثانياً- الإخلاص من أهم الوسائل للتخلص من الشيطان، بل والتمكن
 من الانتصار عليه وقهره، والإخلاص من إغوائه وإغرائه، وهذا ما حكاه القرآن
 من قول الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
 ٣٦﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾^(٢).

- وقال سبحانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
 الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾^(٣).

- وعلى سبيل التوضيح لهذا الموضوع نورد القصة التي ذكرها الغزالي في
 بحث الإخلاص وهي:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) سورة الحجر: ٣٩-٤٠.

(٣) سورة ص ٨٢-٨٣.

(أن عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا إن ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحمك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال إن هذا من عبادتي قال فإني لا أترك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه على الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس أطلقني حتى أكلمك فقام عنه فقال إبليس يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك والله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنازله للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز إبليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع قال وما هو قال أطلقني حتى أقول لك فأطلقه فقال إبليس أنت رجل فقير لا شيء لك إنما أنت كلٌّ على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يفرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمي قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد إلى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب وأخذ فأسه على عاتقه

فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له إلى أين قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها قال فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال هيهات فأخذه إبليس وصرعه فإذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد إبليس على صدره وقال لتتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك فنظر العابد فإذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فحل عني وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن فقال لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك^(١).

ثالثاً- الإخلاص ينجي صاحبه من هموم الدنيا والآمها، ويدخله يوم القيامة الجنة، وينجيه من النار، لأنه أخلص نيته وعمله لله تعالى، وابتعد عن الشرك الخفي وهو الرياء يؤكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ إِنَّكَ لَدَائِمُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَمَا تُجْرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ ﴾^(٢).

وقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾^(٤).

(١) إحياء علوم الدين: جزء ٣ ص ٣٧٧.

(٢) سورة الصافات: ٣٨-٤١.

(٣) سورة الصافات: ٧٢-٧٤.

(٤) سورة الصافات: ١٥٨-١٦٠.

- من كل ذلك ينبغي للمؤمن أن يتحرى دائماً قصص المخلصين وأعمالهم ليستفيد منها ويأخذ دروساً تعظه في سائر حياته، فيعمل عملهم ويتأسى بهم، وخير ما يحقق له ذلك أن يقرأ دائماً سيرة النبي ﷺ، فيرى فيها كامل الإخلاص في كل أعماله وأقواله، وأفعاله وتقريراته ﷺ، فهو المثل الأعلى والقذوة الصالحة، قال ﷺ عنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

- ولقد أثر النبي ﷺ في أصحابه وزكاهم ورباهم فغير الكثير من صفتهم في كل مجالات الحياة، ولو تتبعنا أخبار الصحابة والتابعين والصالحين في موضوع الإخلاص لوجدنا الكثير منها

- روى الأوزاعي أن عمر بن الخطاب ﷺ: (خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك قالت إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة أعشرات عمر تتبع) (٢).

- وقصة صاحب النقب في هذا الموضوع مشهورة يؤخذ منها فوائد وعبر كثيرة يستفيد منها كل مؤمن فيلتزم الإخلاص في كل شؤون حياته وتصرفاته.

- حدثنا أبو عمرو الصّفّار قال: (حاصر مسلمة حصنا فنذب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد. فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء. فجاء رجل فقال: استأذن لي على الأمير. فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه. فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألاّ تسودوا اسمه في صحيفة "إلى الخليفة" ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال: فذاك له. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب^(١).



(١) ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار جزء ١ ص ١٧٢.

سادساً - مقام الاستقامة

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾﴾^(١).

- تفيد الاستقامة في لسان العرب معنى الاعتدال والاستواء، ومن ذلك ما ورد في السنة بشأن الاصطفاف في الصلاة وهو: (تسوية الصفوف من إقامة الصلاة)^(٢) أي جعلها سليمة معتدلة.

- والاستقامة في الشرع هي الإقامة على الدين والدوام على هدي الله ﷻ، والاستمرار في التقيد بقيوده، والوقوف عند حدوده، والاستجابة لأوامره، والانتهاز عن محارمه، والثبات على ذلك، وعدم التغيير أو التبديل أو الغفلة عن ذلك، أو التراجع عنه.

- قال الإمام القشيري: (والاستقامة: درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده؛ قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبْنَا﴾^(٣).

(١) سورة فصلت: ٣٠-٣١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٣) سورة النحل: ٩٢.

ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره، ولم يكن سلوكه على صحة؛ فمن شرط المستأنف: الاستقامة في أحكام البداية، كما أن من حق العارف الاستقامة في آداب النهاية.

فمن أمارات استقامة أهل البداية: أن لا تشوب معاملاتهم فترة.

ومن أمارات استقامة أهل الوسائط: أن لا يصحب منازلهم وقفة.

ومن أمارات استقامة أهل النهاية: أن لا تتداخل مواصلتهم حجة^(١).

- والاستقامة لا تتأثر بأي مؤثر، ولا تتبدل بأي سبب تقاوم المغيرات والشهوات، وتدفعها بتربية النفس على التزام الحلال، والبعد عن الحرام.

- والاستقامة هي التي تجعل صاحبها على الدوام يحاسب نفسه، ويراقب ربه، ويلتزم صراطه، ويعمر سلوكه وتصرفه بخلوص النية لله، وصدق التوجه إلى الله، فتكون استقامته نوراً يسعى بين يديه فيهديه الطريق.

- وقد ذكرت الاستقامة في القرآن الكريم في عشرة مواضع.

- قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ^(٢) رَوَّغَانَ الثعلب)^(٣).

- قال أبو علي الدقاق^(٤) (الاستقامة لها ثلاثة مدارج:

(١) القشيري: الرسالة القشيرية: ص ٢٠٦.

(٢) راغ: حاد عن الطريق، وذهب هكذا وهكذا مكرراً وخديعة.

(٣) تفسير البغوي.

(٤) حسن الدقاق: (أبو علي) الحسن بن علي بن محمد الدقاق، النيسابوري، الشافعي، صوفي، فقيه، أصولي، وكان أستاذاً للشيخ القشيري، توفي سنة (٤٠٥هـ -

١٠١٥م). [معجم المؤلفين]

أولها التقويم، ثم الإقامة ثم الاستقامة، فالتقويم من حيث تأديب النفوس، والإقامة من حيث تهذيب القلوب، والاستقامة من حيث تهذيب الأسرار^(١).

- من هذا القبيل قول رسول الله ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»^(٢).

- وكذلك قوله ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَسْتَكْفِي اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: أَتَى اللَّهُ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَّجْتَ اعْوَجَّجْنَا»^(٣).

- والاستقامة درجة عالية تدل على كمال الإيمان وعلو الهمة، يتوضح ذلك من حديث النبي ﷺ فعن عبد الله الثقفي قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ.
قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْتُ»^(٤).

- (والاستقامة توجب إدامة الكرامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٥) لم يقل سقيناهم بل أسقيناهم فهو يشير إلى الدوام)^(٦).
- والاستقامة ليست مهمة سهلة، وإنما هي شاقة عسيرة تستدعي الطاعة الدائمة، ومراقبة الإنسان نفسه والحذر من المخالفة.

(١) الرسالة القشيرية: ص ٢٠٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ؓ.

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ؓ.

(٤) أخرجه أحمد عن عبد الله الثقفي ؓ.

(٥) سورة الجن: ١٦.

(٦) القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٢٠٧.

- وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: (ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية أشد، ولا أشق عليه من هذه الآية ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾^(١) هود: ١١٢)^(٢).

- ولذلك قال ﷺ لأصحابه عندما قالوا له لقد أسرع إليك الشيب؟ فقال: ((شيبتي هود وأخواتها))^(٣).

- (روي عن أبي علي السري قال: رأيت النبي ﷺ في المنام؟ فقلت يا رسول الله؟ روى عنك أنك قلت: (شيبتي هود) قال: نعم، قلت: ما الذي شيبك فيها؟ قصص الأنبياء، وهلاك الأمم؟ فقال: (لا) ولكن قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾^(٤)^(٥).

- ولا يعني أمر الله ﷻ لرسوله ﷺ بالاستقامة أنه لم يكن مستقيماً، بل كان في غاية الاستقامة، وإنما المقصود بهذا الأمر الدوام والاستمرار على ما هو عليه، وهو تعليم لأمة سيدنا محمد ﷺ.

- وضد الاستقامة الطغيان، واستدلوا على ذلك بقول الله ﷻ: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٦).

(١) سورة هود: ١١٢.

(٢) القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٢٠٧.

(٣) أخرجه أبو يعلى والطبراني في الكبير.

(٤) سورة هود: ١١٢.

(٥) تفسير القرطبي.

(٦) سورة هود: ١١٢.

- والدعوة إلى الاستقامة وتجنب الطغيان هو هدف القرآن الكريم المتكرر فيه قال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ ۖ وَأَسْتَقِمْ ۖ كَمَا أُمِرْتُ ۖ وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١).

- وكلمة استقم كلمة جامعة تشمل العقيدة والعمل والقول والسلوك، ومن أقوال الصحابة في الاستقامة العملية أن أحدهم كان يقول: ما كذبت منذ أسلمت.

- وفي الحديث عن الاستقامة لا بد من الحديث عن الصراط المستقيم لأن العلاقة بينهما وثيقة، فالاستقامة هي الثبات والاستمرار على الإسلام، والصراط المستقيم هو الطريق المعتدل وهو الإسلام، فأصبحت العلاقة مشتركة بينهما، حيث إن الاستقامة لا بد أن تكون على الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٢).

- وأمرنا الله ﷻ بل أوجب علينا أن نطلب منه الهداية لهذا الطريق في كل ركعة من ركعات صلاة الفرض أو النافلة في سورة الفاتحة:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (٣).

- وقد يسأل سائل من الذين أنعم الله عليهم، فيجد الجواب في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٤).

(١) سورة الشورى: ١٥.

(٢) سورة يس: ٦١.

(٣) سورة الفاتحة: ٦-٧.

(٤) سورة النساء: ٦٩.

- وقد بين النبي ﷺ لصحابته حقيقة هذا الطريق فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:
 (حَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا».
 قَالَ ثُمَّ حَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ «هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا
 عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
 تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ (١) (٢).

- وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
 «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ
 مُفْتَحَةٌ وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا وَدَاعِي يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ
 فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ
 تَلَجَّهُ وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مَحَارِمُ
 اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كَتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي مِنْ
 فَوْقِ الصِّرَاطِ وَأَعْظُمُ اللَّهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ» (٣).

- هذا وإن استقامة المؤمن على الصراط المستقيم وثباته على هذا الطريق
 هو مدعاة أن يحصل المؤمن على حفظ الله ورعايته، وتحقيق أمانيه ورغباته
 قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُغْفَرْنَ لَهُنَّ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ الْأَقْبَامُ لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ وَلَا يَتَلَفَعُونَ فِي مَا هُمْ يَعْتَمِدُونَ﴾ (٤).

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده.

(٤) سورة الجن: ١٦.

- ولأن الاستقامة أمر شاق ومتعب وصعب، كان الثواب عليه جزياً عظيماً، وقد بينه الله فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُمْ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾^(٢).

- ولقد كان النبي ﷺ المثل الأعلى في الاستقامة، استقام في حسه ونفسه، وفي قوله وعمله، وفي ظاهره وباطنه، وفي أمره كله، فأصبح القدوة السامية في الاستقامة لأتباعه، وأخذ يحثهم على الاقتداء به، والسير على سنته، فكان صحابته الكرام خير مثال للاستقامة، فما بدلوا ولا غيروا مع أنهم وقعوا في أنواع شديدة من البلاء والمحن، ولقد كان يفتخرون بهذه الاستقامة فكان أحدهم يقول: (ما كذبت منذ أسلمت).

وكان النبي ﷺ كلما رأى من صحابته أمراً حسناً أمرهم بالاستقامة عليه. فعن الحارث بن مالك الأنصاري، أنه مر برسول الله ﷺ، فقال له: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: «أَنْظِرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» فَقَالَ: قَدْ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِدَلِّكَ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى عَرْشِ

(١) سورة فصلت: ٣٠-٣١.

(٢) سورة الأحقاف: ١٣-١٤.

رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغُونَ فِيهَا، فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالزَّمْ» ثلاثاً^(١).

- وقد تجلّت الاستقامة في الصحابة جميعهم والتابعين والعلماء الصالحين، ومن أروع ما يذكر في الاستقامة (قصة سيدنا مصعب بن عمير وقصة حذافة السهمي)^(٢)، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

- وهذا محمد إقبال الشاعر الباكستاني يبين لنا معنى الاستقامة في أعماله وأقواله فيقول وهو يتحدث عن رحلته إلى بريطانيا للدراسة: (رغم أن شتاء إنجلترا كان قارساً جداً، وكان الهواء البارد يعمل في الجسم عمل السيف، ولكني لم أترك في لندن التبكير في القيام).

ويقول: لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهرنِي، ويغشي علي بصري، وذلك لأني اكتلحت بإئمد المدينة).

ثم يقول: (مكثت قِي أَتُونِ التعليم الغربي، وخرجت كما خرج إبراهيم من نار نمرود).

- (منصور بن عمار عالم فاضل، علم بمرض أحد أصدقائه، فذهب إليه ليزوره، فلما دخل عليه وجده مضجعاً على فراشٍ في وسط الدار، وقد اسودَّ وجهه، وازرقت عيناه، وغلظت شفثاه، وبدا مظهره في غير مظهر الصالحين، فقال له منصور: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله، ففتح عينيه وقال: يا أخي يا منصور هذه كلمة حَيْلٍ بيبي وبينها، فقال منصور: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أين ذلك الصيام والقيام والصلاة والتهدد؟! فقال:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير.

(٢) انظر كتابنا منهج الإسلام في تزكية النفس ص ٢٣٤.

كان كل ذلك لغير وجه الله ﷻ إنما كنت أفعل ذلك ليقال عني زاهد أو عابد أو رجل صالح، فإذا خلوت بنفسي أغلقت الباب، وأرخت الستور، وشربت الخمر، وبارزت ربي بالمعاصي، وبقيت على ذلك مدة، فأصابني مرض شديد، وأشرفت على الهلاك، فقلت لابنتي: ناوليني المصحف، فأخذت أقرأ فيه، ثم قلت: اللهم بحق هذا القرآن العظيم إلا شفيتني، ولن أعود للذنب أبداً، ففرج عني وشفاني، فلما شفيت عدت لما كنت عليه من عصياني الله والانغماس في الملهيات والمرآة، أنساني الشيطان العهد الذي كان بيني وبين ربي، وبقيت على ذلك مدة من الزمان، فمرضت ثانية مرضاً شديداً، وأشرفت منه على الموت، فعادت الكرة مع ربي كما في الحالة الأولى، فشفاني وعافاني لكنني لم استقم، وعادت الأمر مرة ثالثة، ثم عادت الكرة فدعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لي منه حرف واحد فعلمت أن الله تعالى غضب علي، فرفعت رأسي إلى السماء وقلت: يا جبار السموات والأرض بحرمة هذا المصحف فرج عني، فسمعت هاتفاً يقول لي:

تتوب من الذنوب إذا مرضتا	وترجع للذنوب إن برئتا
إذا ما الضرُّ مَسَّكَ أنتِ باكٍ	وأخبث ما تكون إذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها	وكم كشف البلاء إذا بليتا
وكم غطاك في ذنب وعنه	مدى الأيام جهراً قد نهيتا
أما نخشى بأن تأتي المنايا	وأنت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد فضلاً	عليك ولا ارعويت ولا خشيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهداً	وأنت لكل معروف نسيتا
فَدَارِكُ قَبْلَ نَقْلِكَ مِنْ دِيَارِكِ	إلى قبر إليه قد نُعيتا

فخرج منصور بن عمار من عنده والعبرات تملأ عينيه، وهو ويقول:
اللهم ارزقنا حسن الخاتمة، كم نفسٍ مكر الله بها بعد أن كانت صائمة
قائمة.

وبعد أيام بلغه موت الرجل وما زال حزيناً عليه يدعو له الله أن يتغمده
بواسع رحمته^(١).



(١) انظر: شعيب الحرفيش: الروض الفائق ص ١٤.

سابعاً - مقام الزهد

- الزهد في اللغة الإعراض عن الشيء وتركه لاحتقاره أو لقلته، والزهد في الاصطلاح:

(عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً في نفسه، لم يُسمَّ زاهداً كمن ترك التراب فهو ليس زاهداً)^(١).

- وبما أن الدنيا زائلة والآخرة باقية فالعقل من عمل للباقية وآثرها على الزائلة الفانية، وهذا هو الزاهد، فالزهد هو عدم الالتفات إلى الدنيا بما لها وجاهها وشهواتها ونعيمها، والسعي في طلب الحياة الباقية، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

- قال الجنيد: (الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب)^(٣).

- وقال الإمام أحمد بن حنبل: (الزهد على ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى، وهو زهد العارفين)^(٤).

(١) مختصر منهاج القاصدين: ص ٢٣٤.

(٢) سورة القصص: ٨٣.

(٣) الرسالة القشيرية: ص ١١٧.

(٤) المصدر نفسه: ص ١١٩.

- قال إبراهيم بن الأدهم: (الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد)^(١).
- فالدنيا من مال وجاه ورفعة وغير ذلك يحتاجها المؤمن لخدمة دينه،
ولكن بشرط ألا تملك قلبه وتشغله عن ربه، بل يستخدمها فيما يرضي الله
ورسوله دون التعلق بها.

- والزهد يكون في شيء تملكه وتقدر عليه، وليس في شيء لا تملكه
ولا تقدر عليه، فكيف تكون زاهداً وأنت لا تملك، إنما الزهد أن تملك من
الدنيا ما تشاء دون أن تملكك الدنيا بشهواتها، لذلك قيل: الزهد أن تملك
الدنيا ولا تملكك.

- (فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانيهما
ولهما من المال والملك ما لهما).

ولقد كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما من الصحابة
الكرام من أغنى الأغنياء ولكنهم كانوا من الزاهدين.

وكان عبد الله بن المبارك والليث بن سعد من أئمة الزهاد مع مال كثير^(٢).
- فليس الزاهد من زهد في الدنيا وقد أعرضت عنه، وإنما الزاهد من
أقبلت عليه، فزوى عنها وجهه وآثر الفرار منها.

- قال إبراهيم بن الأدهم: (الزهد ثلاثة أقسام: فزهد فرض، وزهد
فضل، وزهد سلامة، فأما الزهد الفرض فالزهد في الحرام، وأما الزهد الفضل
فالزهد في الحلال، وأما الزهد السلامة فالزهد في الشهوات)^(٣).

(١) إبراهيم الشيرخيتي: الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين الحديث النووية.

(٢) ابن القيم مدارج السالكين، جزء ص ١٥.

(٣) أحمد فريد: البحر الرائق في الزهد والرقائق ص ١٩٢.

- هذا ولم يذكر في القرآن الكريم لفظ الزهد، إنما هناك إشارات واضحة لمعنى الزهد في آيات كثيرة من القرآن الكريم تصغر من شأن الدنيا، وتبين حقارتها وسرعة زوالها، وانقضاء نعيمها، وأنها دار الغرور، وفتنة الغافلين، ومقصود الحق من ذلك أن يزهد الناس بها بإخراج حبهام من قلوبهم حتى لا تشغلهم عمّا خلقوا له من معرفة الله تعالى وإقامة دينه، قال تعالى:

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٤) (١).

- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٢).

- وقال ﷺ: ﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٣).

- ولعل أقرب آية تدل على معنى الزهد قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٤).

- أي ينبغي للمسلم ألا يفرح بوجوده فيشغله عن الله، ولا يحزن لمفقوده فيشغله البحث عنه عن الله سبحانه أيضاً.

- أما المتبع لأحاديث النبي ﷺ فإنه يجد كثيراً منها يتحدث عن الزهد مباشرة أو عن المقصود بالزهد، فعن سهل بن سعد الساعدي قال أتى النبي ﷺ

(١) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٢) سورة فاطر: ٥.

(٣) سورة الكهف: ٤٦.

(٤) سورة الحديد: ٢٣.

رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»^(١).

- وقد أوضح النبي ﷺ المقصود الحقيقي من الزهد فقال: «الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْتَقَّ مِمَّا فِي يَدَيِ اللَّهِ وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أَصِيبْتَ بِهَا أَرْغَبَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ»^(٢).

- وقال ﷺ: «من أحب دنياه أضرَّ بأخوته ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه فأثروا ما يبقى على ما يفنى»^(٣).

- وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(٤).

- هذا وقد تمثل الزهد في أخلاق وحياة جميع الصحابة والتابعين والصالحين وعلى الأخص الخلفاء الراشدين.

- فقد روى زيد بن أرقم، قال: كُنَّا مَعَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ إِذِ اسْتَسْقَى فَأَتَى بِمَاءٍ وَعَسَلٍ، فَلَمَّا وَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ بَكَى وَاتَّحَبَّ حَتَّى ظَنَّنَا بِهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَلَمَّا فَرَغَ، قُلْنَا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا الْبُكَاءِ؟ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذِ رَأَيْتُهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ شَيْئًا

(١) أخرجه ابن ماجه.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي ذر الغفاري ﷺ.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ.

وَلَا أَرَى شَيْئًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الَّذِي رَأَيْتَكَ تَدْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ وَلَا أَرَى شَيْئًا؟ قَالَ: الدُّنْيَا تَطَاوَلَتْ لِي، فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّكَ لَسْتَ بِمُذْرِكِي فَشَقَّ عَلَيَّ وَخَشِيتُ أَنْ أَكُونَ قَدْ خَالَفتُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَذْرَكْتَنِي الدُّنْيَا^(١).

- وقد روى قتادة رضي الله عنه قال: (ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وألينكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي، وذكر لنا أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر وقال: لئن كان حظنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد بانوا بونا عظيما)^(٢).

- عن عائشة رضي الله عنها: قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ كُنْتَ تَرِيدِينَ الإسْرَاعَ وَاللِّحَاقَ بِي فَلْيَكْفِكِ مِنَ الدُّنْيَا كِرَادَ الرَّأْكِبِ، وَإِيَّاكَ وَمُحَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتَخْلِقِي ثُوبًا حَتَّى تُرْقِعِيهِ»^(٣).

- وزاد رزين في كتابه: قال عروة: «فما كانت عائشة تَسْتَجِدُّ ثُوبًا حَتَّى تُرْقِعَ ثُوبَهَا، وَتُنَكِّسَهُ، قَالَ: وَلَقَدْ جَاءَهَا يَوْمًا مِنْ عِنْدِ مَعَاوِيَةَ ثَمَانُونَ أَلْفًا، فَمَا أَمْسَى عِنْدَهَا دَرَاهِمٌ، قَالَتْ لَهَا جَارِيَتُهَا: فَهَلَا اشْتَرَيْتِ لَنَا مِنْهُ لَحْمًا بِدَرَاهِمٍ؟ قَالَتْ: لَوْ ذَكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ»^(٤).

- وقد وصف الإمام النووي هذه الفئة الصالحة من الأمة فقال:

(١) أخرجه البزار في مسنده.

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير في جامع الأحاديث.

(٣) أخرجه الترمذي في جامع الأحاديث.

(٤) جامع الأحاديث.

إن لله عباداً فُطُنَا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحَيِّ وطننا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفناً^(١)

والسؤال المهم في هذا الموضوع: كيف يصبح المؤمن زاهداً في الدنيا؟

أولاً: أن يضع المؤمن بين عينيه دائماً حقيقة الدنيا، وأنها دار امتحان وهي ظل زائل، وخيال زائر، وأن هناك رحيلاً إلى دار البقاء، إما إلى نعيم وإما إلى عذاب، فيسعى للعمل من أجل الآخرة.

ثانياً: أن يتذكر دائماً بأن الزهد في الدنيا لا يمنع شيئاً كتب له، أن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقْضَ له، فما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه بل يكون على يقين بأن زهده هذا سيكون سبباً في الزيادة في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الإكثار من ذكر الموت، وأنه لا بد ملاقيه فإن ذلك يبعده عن الانشغال بالدنيا، ويبعده عن الالتهاة بطول الأمل عن الآخرة والعمل لها.

رابعاً: الإكثار من زيارة القبور لأنها تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة، وتكون حافزاً على الإعداد والعمل للآخرة.

خامساً: استشعار عظمة الخالق وشدة عذابه، والنار وجحيمها، والجنة ونعيمها، فهذا يؤدي إلى العزوف عن الملهذات والشهوات والتعلق بما هو آت.

سادساً: النظر إلى من أعلى منه في الدين ومن هو أقل منه في الدنيا، وهذا النظر يساعده على الزهد، فيرضى عما قسمه الله له في الدنيا، ويعيش مرتاح البال حيث يرى من هو أقل منه.

(١) النووي: رياض الصالحين، ص ٣.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» (١).

سابعاً: صحبة الزاهدين والعلماء العاملين المخلصين، فالإنسان يتأثر بمن يصاحب، فإن صاحب الزاهدين تأثر بأخلاقهم، وحاول أن يكون مثلهم وانتفع بهم، وما وصل إليه الصحابة الكرام من حقيقة الزهد بهذه الدنيا إلا بصحبتهم للنبي ﷺ الذي كان قدوة في أقواله وأفعاله، وكان المثل الأعلى في كل شيء.

ثامناً: قراءة كتب الزاهدين وقصصهم، والتعرف على أحوالهم وأعمالهم، وما كانوا عليه وما وصلوا إليه، فينتفع بها ويتأثر بما فيها ويسعى إلى تقليدهم والسير على خطاهم.



(١) أخرجه الترمذي في سننه.

ثامناً : مقام الرضا

- الرضا من أسمى المقامات والأحوال، فهو باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين، وحقيقته استقبال أحكام الله ﷻ بالقبول والفرح والسرور.

- وقد أورد القشيري تعريفات كثيرة للرضا منها:

(قال عبد الله بن خفيف^(١): الرضا سكون القلب إلى أحكامه، وموافقة القلب بما رضي الله تعالى واختاره.

وقال الحارث المحاسبي^(٢): الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

وقال النوري^(٣): الرضا سرور القلب بمجر القضاء^(٤).

- إذا فالرضا عن الله ﷻ هو أن يرضى المسلم بما خلقه الله عليه من هيئة ولون، وطول أو قصر، وأن يرضى بأسرته التي خلقه الله فيها ويبتته التي يعيش فيها، وعن حاله وأوضاعه، وعن رزقه وشأنه، وأن يعلم أن سعيه إلى

(١) ابن خفيف: أبو عبد الله الشيخ الإمام العارف الفقيه القدوة، ذو الفنون، محمد بن

خفيف بن اسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي، شيخ الصوفية. [سير أعلام النبلاء]

(٢) المحاسبي: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله من أكابر الصوفية. كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد سنة (٢٤٣هـ/٨٥٧م). وهو أستاذ

أكثر البغداديين في عصره. [الأعلام للزركلي]

(٣) النوري: إسماعيل بن سودكين بن عبد الله، أبو الطاهر، شمس الدين النوري: صوفي حنفي تونسي. كان من أصحاب الشيخ محيي الدين بن عربي توفي سنة (٦٤٦هـ

/١٢٤٨م). [الأعلام للزركلي]

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٩٥.

تحسين أمره ورفع شأنه ضمن حدود الشرع وبيانه لا يعارض الرضا، فلا يقعد عن السعي لتغيير أمره بحجة الرضا وإنما من الرضا أن يسعى لما يرضى.

- والسبيل إلى مقام الرضا هو علم القلب بأن الله ﷻ عدلٌ في قضاائه، غير متهم فيما حكم.

- ورضاء العبد بما رضي الله هو نتيجة لتوفيق الله ورضائه عن عبده

بدليل قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(١).

- قال أبو عثمان الحيري^(٢): (منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرته، وما نقلني لغيره فسخطه)^(٣).

- وسئل سفيان بن عيينة عن حد الرضا عن الله تعالى فقال: (الراضي عن الله لا يتمنى سوى المنزلة التي هو فيها)^(٤).

- ولقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن الراضين وصفاتهم وما أعد لهم من منزلة وكرامة، فقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥).

(١) سورة البينة: ٨.

(٢) أبو عثمان الحيري: الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام، الأستاذ أبو عثمان، سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصوفي.

توفي سنة ثمان وتسعين ومئتين. [سير أعلام النبلاء]

(٣) ابن القيم: مدارج السالكين جزء ٢ ص ١٧٥.

(٤) ابن الجوزي: صفوة الصفوة جزء ١ ص ٤٢٧.

(٥) سورة المجادلة: ٢٢.

- وقال سبحانه: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨) (١).

- وقال ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢).

- ورضا الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه.

- وهذا الرضا جزاء على رضاهم عنه في الدنيا، ولما كان هذا أفضل الجزاء كان سببه أفضل الأعمال.

- بل هو غاية مطلب سكان الجنة، كما أخبر رسول الله ﷺ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ يَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ هَلْ رَضَيْتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ أَنَا أُعْطَيْتُكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (٣).

- هذا وإن الله تعالى لا يرضى عن عبده إلا إذا رضي العبد عن ربه في جميع أحكامه وأفعاله، وعندما يكون الرضا متبادلاً، كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (٤).

(١) سورة البينة: ٨.

(٢) سورة التوبة: ٧٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) سورة البينة: ٨.

قال الأصفهاني: (رضا العبد عن الله ألا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد أن يراه مؤتمراً لأمره، منهياً عن نهيهِ) (١).

- والله در القائل:

العبد ذو ضجرٍ والرب ذو قدرٍ والدهر ذو دولٍ والرزق مقسوم
والخير أجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللوم والشوم

- ولقد تحدث النبي ﷺ عن الرضا في أحاديث كثيرة منها:

- فعن ثوبان رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمَسِّي رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرَضِيَهُ» (٢).

- وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» (٣).

- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيَ اللَّهُ رَّبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا. غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» (٤).

- والرضا بالله رباً هو فرضٌ بل هو من أكد الفروض، فمن لم يرضَ به رباً لم يصح له إسلام ولا عمل ولا حال، وهذا الرضا يتضمن توحيد الله وعبادته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والاعتماد عليه،

(١) مجلة جامعة أم القرى.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه.

ورجاءه والخوف منه، والإخلاص له، والصبر له وبه، والشكر على نعمه،
والرضا بتدبيره وبكل أفعاله.

- فهو راضٍ بما يؤمر به، وراضٍ بما يقدر عليه، وراضٍ بقضائه.
- أما الرضا بنبيه رسولاً فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه.
- وأما الرضا بدينه، فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى رضي كل الرضا،
ولم يجد في قلبه حرجاً من حكمه، وسلم له تسليمًا، ولو كان مخالفًا لمراد
نفسه وهوها.

- قيل ليحيى بن معاذ^(١): (متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام
نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن
منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أحبيت)^(٢).

- وقد تحدث العلماء عن أنواع الرضا فقالوا:
أولاً- الرضا بالله أي: رباً، وهو على التفصيل الذي مر معنا سابقاً.
ثانياً- الرضا عن الله في فعله وأمره.
ثالثاً- والرضا بقضاء الله وقدره.

- وعكس ذلك الساعط والمخاصم لربه في أحكامه وأقضيته مثل إبليس
فهو لم يرضَ بقضاء الله وأحكامه، ولو رضي لم يمسخ من الحقيقة الملكية إلى
الحقيقة الشيطانية الإبلسية.

(١) يحيى بن معاذ أبو زكريا: يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، واعظ، زاهد، لم يكن له
نظير في وقته. من أهل الري. أقام ببلخ، ومات في نيسابور سنة (٢٥٨هـ -
٨٧٢م). [الأعلام للزركلي]

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين جزء ٢ ص ١٧٢.

- وكان من دعاء النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ))^(١).

- وللرضا ثمرات كثيرة منها: أنه يبلغ بصاحبه منزلة الصديقين يوم القيامة قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: (إن أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ: بسم الله الرحمن الرحيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا، لا شريك لي، إنه من استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، ورضي لحكمي كتبه صديقا وبعثته مع الصديقين يوم القيامة)^(٢).

- والراضي عن الله هو عند الله كبعض ملائكته: كما قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: (يقول الله ﷻ: الشاب المؤمن بقدري الراضي بكتابي القانع برزقي التارك لشهوته من أجلي هو عندي كبعض ملائكتي)^(٣).

- وعن سليمان بن المغيرة قال: (كان فيما أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود إنك لن تلقاني بعمل هو أَرْضِي لِي عَنْكَ وَلَا أَحْطُ لَوْزْرِكَ مِنَ الرِّضَا بِقَضَائِي وَلَنْ تَلْقَانِي بِعَمَلٍ هُوَ أَعْظَمُ لَوْزْرِكَ وَلَا أَشَدُّ لِسَخَطِي عَلَيْكَ مِنَ الْبَطْرِ فَايَاكَ يَا دَاوُدَ وَالْبَطْرُ)^(٤).

- وعن وهب بن منبه قال: (وجدت في زيور داود يا داود هل تدري من أسرع الناس مرأً على الصراط الذين يرضون بحكمي ألسنتهم رطبة من ذكري)^(٥).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن فضالة بن عبيد ؓ.

(٢) أخرجه ابن النجار عن عليّ في جامع الأحاديث القدسية وهو ضعيف.

(٣) أخرجه الديلمي عن عمر ؓ في جامع الأحاديث القدسية وهو ضعيف.

(٤) ابن أبي الدنيا: الرضا عن الله بقضائه ص ٤٦.

(٥) المرجع نفسه ص ٧٣.

- وعن عمر بن ذر قال: بلغنا أن أم الدرداء كانت تقول: (إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى الله لهم رضوا به، لهم في الجنة منازلٌ يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة)^(١).

- والمسلم المحب لله راضٍ عن الله ﷻ في كل أحواله، بل يجد سروراً فيما اختصه الله به من البلاء، ففي سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان والصالحين من عباد الله فيض من الحوادث التي تدل على تحققهم بأعلى درجات الرضا.

- ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في الرضا في مواقف كثيرة، وكلنا نذكر ما حدث له بالطائف من شتم وضرب وطرده حتى أدمى عقبه، فما كان منه إلا أن توجه إلى الله ﷻ مخاطباً ومما قال: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس أنت أرحم الراحمين إلى من تكلمي إلى عدو يستجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي)^(٢).

- وكان الصحابة الكرام يعذبون في مكة، ويعانون من ألوان التنكيل والإيذاء، وهم يتلقون ذلك كله بقلوب راضية، ونفوس مطمئنة بالإيمان، وألسنة ذاكرة.

- وهذا عروة بن الزبير رضي الله عنهما قطعت رجله ومات أعز أولاده على قلبه في ليلة واحدة فدخل عليه أصحابه ليعزوه فوجدوه يقول:

«اللهم كان لي بنون سبعة، فأخذت منهم واحدا وأبقيت ستة، وكانت لي أطراف أربعة فأخذت منها طرفا وأبقيت لي ثلاثة، وإمك لئن ابتليت لقد

(١) المرجع نفسه ص ٤٥.

(٢) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه.

عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت»^(١). (قد كان عمران بن حصين رضي الله عنه قد استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره مدة طويلة، لا يقوم ولا يقعد، وقد نُقِب له في سريره موضعٌ لحاجته، فدخل عليه مُطَرَّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّحِيرِ فجعل ييكى لما رأى من حاله، فقال له عمران: لم تبك؟ فقال: لأني أراك على هذه الحال الفظيعة، فقال: لا تبك، فإنَّ أحبَّ إليَّ أحبُّ إليه، وقال: أخبرك بشيء، لعل الله أن ينفعك به، وأكنم عليَّ حتى أموت، إن الملائكة تزورني فأنس بها، وتسلم عليَّ فأسمع تسليمها)^(٢).

- (ولما قدم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى مكة -وقد كُفَّ بصره- جعل الناس يُهرعون إليه ليدعو لهم -وكان مستجاب الدعاء- فجعل يدعو لهم، قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام، فتعرفت إليه فعرفني، فقلت: يا عم أنت تدعو للناس فيشفون، فلو دعوت لنفسك لرد الله عليك بصرك، فتبسم، ثم قال: يا بني قضاء الله أحب إلي من بصري)^(٣).

- ومن الرضا معرفة أن ما قدره الله للمؤمن هو خير مما يرغب فيه، فقد قال أحد العارفين: ارضَ عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين فتسقط من عينه^(٤).

- قال سيدنا عمر رضي الله عنه: (ما ابتليت ببلية إلا كان الله عليَّ فيها أربع نعم: إذ لم تكن في ديني، وإذ لم أحرم الرضا، وإذ لم تكن أعظم، وإذ رجوت

(١) أخرجه البيهقي في شعبه.

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين جزء ٢ ص ٢١٧.

(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٤) المصدر السابق جزء ٢ ص ٢٠٨.

الثواب عليها^(١).

- وكان يقول ﷺ: (ما أبالي على أي حال أصبحت أعلى ما أحب أم على ما أكره؟ ذلك لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره)^(٢).

- وقد يحس الراضي بألم المصيبة بحكم الطبع، ولكنه يرضى بها حين يرجع إلى إيمانه بلطف الله تعالى وحكمته، ويعلم أن وراء كل فعل من أفعاله حكماً خفية، ولطائف دقيقة، لا يعرفها العبد، ولكن قد تتكشف له بعد مدة، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

- وقال تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا﴾^(٤).

- وهذا الرضا يصدر عن عمق محبة العبد لله والثقة بفعله وقضائه وقدره.

- قال عامر بن قيس: (أحببت الله حباً هون عليّ كل مصيبة، ورضائي

بكل بلية، فلا أبالي مع حيي إياه علام أصبحت وعلام أمسيت)^(٥).

- وينبغي للمسلم أن يعلم أنه ليس من الرضا تركه للتضرع ودعائه الله

ﷻ في دفع ما أصابه أو سؤاله ما يحب ويرغب فيه، كذلك ينبغي للمسلم ألا

يترك الأسباب في دفع ما لا يرغب فيه أو في سؤال ما يحب ويرغب فيه، وعليه

(١) المناوي: فيض القدير في شرح الجامع الصغير، جزء ٢، ص ١٦٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في كتابه العلل ومعرفة الرجال.

(٣) سورة البقرة: ٢١٦.

(٤) سورة النساء: ١٩.

(٥) عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف ص ٢٩٨.

أن يعلم أن كل ذلك ليس مخالفاً للرضا بما أَرَادَهُ اللهُ سبحانه، بل هو استجابة لأمر الله ﷻ ﴿ادْعُوهُ اسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

- وحين أراد سيدنا عمر ﷺ أن يمنع جيش المسلمين من دخول الشام حذراً من الطاعون، قال له سيدنا أبو عبيدة بن الجراح ﷺ: أفراراً من قَدَرِ اللهُ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللهُ إِلَى قَدَرِ اللهُ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُذْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى حَدَبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهُ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْحَدَبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهُ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ». قَالَ: فَحَمِدَ اللهُ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ^(٢).

- فليس في الرضا بالقضاء والقدر ما يستلزم الخروج عن الشرع، ولكن الرضا بقضاء الله وقدره معناه ترك الاعتراض عليه تعالى ظاهراً وباطناً مع بذل الوسع للتوصل إلى ما يحبه الله تعالى ويرضاه، وذلك بفعل أوامره وترك نواهيه.



(١) سورة غافر: ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

تاسعاً: مقام الشكر

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لَمِنَ شُكْرِكُمْ لَا زَيْدَ لَكُمْ﴾^(١).
- الشكر: (الثناء على المحسن بذكر إحسانه، وهو عكوف القلب على حبة المنعم والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره والثناء عليه)^(٢).
- والشكر نصف الإيمان كما قال رسول الله ﷺ: «الإيمان نصفان: نصف في الصبر، ونصف في الشكر»^(٣).

- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٤).

- ولقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم نعمه الكثيرة على الناس وذكرهم بها، وأمرهم أن يشكروه عليها لتدوم عليهم، وتزيد وتنمو كما مر في الآية السابقة، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

- وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُفُّمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ إِذًا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَايِهَ تَجْتَرُونَ﴾^(٦).

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين، ص ٢٣٥.

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه عن أنس ؓ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن صهيب ؓ.

(٥) سورة النحل: ١٨.

(٦) سورة النحل: ٥٣.

- وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَيَاطِنَةُ﴾ (١).

- وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفِيدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

- وقد أمر الله بالشكر ونهى عن ضده وأثنى على أهله ووصف به خواص خلقه وجعله غاية خلقه، ووعد أهله بأحسن جزائه وجعله سببا للمزيد من فضله وحارسا وحافظا لنعمته وأخير أن أهله هم المنتفعون بآياته واشتق منه اسما من أسمائه فإنه سبحانه هو الشكور وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكورا وأهل الشكر هم القليل من عباده.

- قال الله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ (٣).

- وقال ﷻ: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (٤).

- وقال عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥) شاكرا لأنعمه أحببته وهدته إلى صراط مستقيم (٦).

وقال عن نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٧).

(١) سورة لقمان: ٢٠.

(٢) سورة النحل: ٧٨.

(٣) سورة النحل: ١١٤.

(٤) سورة البقرة: ١٥٢.

(٥) سورة النحل: ١٢٠-١٢١.

(٦) سورة الإسراء: ٣.

- وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٨) ﴿^(١)
- وقال ﷺ: ﴿ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٧) ﴿^(٢)
- وقال ﷺ: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٤٤) ﴿^(٣)
- وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) ﴿^(٤)
- وقال سبحانه: ﴿ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٥) ﴿^(٥)
- وسمى نفسه شاكرا وشكورا وسمى الشاكرين بهذين الاسمين فأعطاهم من وصفه وسماهم باسمه وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً، وإعادته للشاكر مشكورا كقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾ (٢٢) ﴿^(٦)
- ورضا الرب عن عبده به كقوله: ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا بَرِّضَهُ لَكُمْ ﴾ (٧) ﴿^(٧)
- وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه كقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٨) ﴿^(٨)

(١) سورة النحل: ٧٨.

(٢) سورة العنكبوت: ١٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٤) سورة إبراهيم: ٧.

(٥) سورة إبراهيم: ٥.

(٦) سورة الإنسان: ٢٢.

(٧) سورة الزمر: ٧.

(٨) سورة سبأ: ١٣.

- عن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ قَالُوا: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).

- ومن وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ». فَقَالَ:

«أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا: «اللهم أعني ولا تعن علي، وانصرتي ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي، ويسر لي الهدى، وانصرتني علي من بغى علي. رب اجعلني شكاراً لك، ذكراً لك، راهباً لك، مطواعاً لك، محبباً لك، أوهاً منياً تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي»^(٣)^(٤).

- (والشكر مبني على خمس قواعد:

أولاً: خضوع الشاكر للمشكور.

ثانياً: حبه له.

ثالثاً: اعترافه بنعمته.

رابعاً: ثناؤه عليه بها.

خامساً: ألا يستعملها فيما يكرهه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه أبو داود.

(٣) سخيمة قلبي: السخيم: السواد، أي: لا تجعل في قلبي حقداً ولا ضيقاً على أحد.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

فهذه الخمس: هي أساس الشكر وبنائوه عليها^(١).

- والشكر على ثلاثة أقسام: شكر اللسان، وشكر الأركان، وشكر الجنان - أي القلب -.

١ - شكر اللسان: بالثناء والاعتراف والتحدث بنعم الله ﷻ امتثالاً

لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢).

- وتطبيقاً لقوله ﷻ: «التحدث بنعم الله شكر، وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير»^(٣). وذلك بأن يحمد المؤمن ربه على ما أنعم عليه من نعم لا تعد ولا تحصى، وأن يكثر دائماً من هذا الحمد في كل أحواله.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من قال بسم الله فقد ذكر الله، ومن قال الحمد لله فقد شكر الله)^(٤).

- وعن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا»^(٥).

- وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَحَدَّ ثَوْبًا فَلَيْسَهُ فَقَالَ حِينَ يَلْبَسُهُ تَرْفُوتُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَحْمَلُ بِهِ فِي حَيَاتِي ثُمَّ عَمَدَ إِلَيَّ الثَّوْبَ الَّذِي أَخْلَقَ - أَوْ قَالَ أَلْقَى - فَتَصَدَّقَ بِهِ كَانَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي جِوَارِ اللَّهِ وَفِي كَنْفِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا»^(٦).

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، جزء ٢ ص ٢٣٤.

(٢) سورة الضحى: ١١.

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه عن النعمان بن بشير ﷺ.

(٤) أبو نعيم في الحلية.

(٥) أخرجه مسلم.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده.

وقال رسول الله ﷺ: «من قال الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه على كل حال حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ثلاث مرات، فتقول الحفظة ربنا لا نحسن كنه ما قدسك عبدك هذا وحمدك وما ندرى كيف نكتبه فيوحي الله إليهم أن يكتبوه كما قال عبدي»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»^(٢).

٢- شكر الأركان: باستعمال الجوارح بالطاعة والانقياد والعمل لله تعالى وبالاستعانة بما على طاعة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣).

٣- شكر الجنان: ويحصل بالخضوع والاستكانة وأن يعرف المؤمن بأن كل نعمة به من الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٤) فيجب ألا تحجبه رؤية النعم عن رؤية المنعم، وقد نبه النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة فقال ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِّعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ. فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في الضعفاء في جامع الأحاديث القدسية.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) سورة سبأ: ١٣.

(٤) سورة النحل: ٥٣.

(٥) أخرجه أبو داود عن عبد الله بن غنام رضي الله عنه.

- وفي الآثار أن موسى عليه السلام قال: (يا ربي خلقت آدم بيدك، ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك، وعلمته أسماء كل شيء، وفعلت، وفعلت فكيف أطاق شكرك، قال الله تعالى: علم أن ذلك مني فكان معرفته بذلك شكراً^(١)).

- وقال داود عليه السلام: (يا ربي كيف أشكرك وشكري لك نعمة علي من عندك تستوجب بها شكراً؟، فقال: الآن شكرتني يا داود)^(٢).

- وقد قسم الله الناس في هذه الدنيا إلى قسمين: شكور وكفور قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٣).

- وجعل ذلك بلاءً وامتحاناً منه سبحانه لعباده ووضح ذلك على لسان نبيه سليمان عليه السلام فقال: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾^(٤).

- ونتيجة الامتحان شكرٌ أو كفرٌ، والله أعلم بالشاكرين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(٥).

- ولقد جعل الله جزاء الشكر زيادة في العطاء والنعم والتوفيق والسعادة، وجزاء الكفر عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة، قال تعالى مبيناً ذلك:

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، جزء ٢، ص ٢٣٦.

(٢) المرجع نفسه جزء ٢، ص ٢٣٥.

(٣) سورة الإنسان: ٣.

(٤) سورة النمل: ٤٠.

(٥) سورة الأنعام: ٥٣.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) ﴿١﴾.

- وعن علي عليه السلام، أنه قال لرجل من همدان : (إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، ولن ينقطع المزيد من الله تعالى حتى ينقطع الشكر من العبد) (١).

- ومع أن الشكر واجب على كل مسلم لما انعم الله به عليه، فقد رضي الله عن الشاكرين، وهياً لهم جزاء من عنده، قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (٢).

- وقال سبحانه: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣) ﴿٤﴾.

- وقال عليه السلام: ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (٤) ﴿٥﴾.

- ولما تبين لعدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ لَا تَبْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (٦) ﴿١﴾.

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) أخرجه البيهقي في شعبه.

(٣) سورة الزمر: ٧.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٥.

(٦) سورة الأعراف: ١٧.

- ولما كان الشكر محفوفاً بهذه الصعوبات الكثيرة كانت نتيجة الامتحان به كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (١٣) ﴿١﴾.

- وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْبُدُوا لَهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ﴾ (١٧) ﴿٢﴾.

- وكما قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣).

- وحتى ننجح في امتحان الشكر ونكون من القلة الذين يشكرون الله، ولا نكون من الكثرة الذين لا يشكرون وجب علينا أن نشكر الله على كل نعمه، وأن نسأل الله أن يلمع علينا الشكر، ولقد وصى الله لقمان بالشكر في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢) ﴿٤﴾.

- وعلينا أن نكثر من الدعاء الذي علمنا الله إياه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ (٥).

- ومن الشكر لله أن نشكر كل إنسان أحسن إلينا، قال ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ» (٦).

(١) سورة سبأ: ١٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٧.

(٣) سورة غافر: ٦١.

(٤) سورة لقمان: ١٢.

(٥) سورة الأحقاف: ١٥.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة ﷺ.

- وقد أشار الله سبحانه إلى هذا المعنى فقال: ﴿وَلَا تَسْوَأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١).

- وقد ظهر هذا النوع من الشكر في أعلى مراتبه على لسان أسوتنا

العليا رسول الله ﷺ، فقد روى علي بن أبي طالب ؓ قال، قال ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ زَوْجَنِي ابْنَتَهُ وَحَمَلَنِي إِلَى دَارِ الْهَجْرَةِ وَأَعْتَقَ بِلَالًا مِنْ مَالِهِ» (٢).

- حتى إن رسول الله ﷺ أشار إلى أنه لم يكافئ أبا بكر على ما بذل في

نصرته من شيء من متاع الدنيا، وإنما كافأه بأن سأل الله تعالى أن يتولى مكافأته

يوم القيامة، وحسبك بما مكافأة!! فقد روى أبو هريرة ؓ قال، قال رسول الله

ﷺ: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ

اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ

مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَأَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» (٣).

- ولقد علمنا النبي ﷺ كيف نشكر الآخرين، فقال ﷺ: (وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ

مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) (٤).

- وقال ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ

أَبْلَغَ فِي الشُّنَاءِ» (٥).



(١) سورة البقرة: ٢٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة ؓ.

(٤) أخرجه النسائي في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه عن أسامة بن زيد ؓ.

عاشراً - مقام الصبر

- مقام الصبر عظيم، وهو نصف الإيمان كما مر معنا سابقاً، ولا بد لكل مؤمن من أن يتعلم هذا المقام، وأن يُهَيِّئ نفسه له.
- والصبر في اللغة معناه الحبس والكف، يقال: صَبَّرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها، وصَبَّرت نفسي عن ذلك الشيء: أي كفتها.
- والصبر في الاصطلاح الأخلاقي الديني: هو حبس النفس عما لا يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، وذلك بحبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التصرف المخالف للشرع.

- و ضد الصبر هو الجزع، جاء في القرآن الكريم:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ ﴿٦﴾﴾^(١).

- وكلمة الصبر فيها معنى الانتظار، وبهذا المعنى جاء قوله سبحانه:

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٢١﴾﴾ أي: انتظر.

- وفيها معنى الاستقامة والمداومة، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴿٢١﴾﴾ أي: احبس نفسك معهم واستقم على ملازمتهم.

- والصبر قوة خلقية من قوة الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه

لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الاندفاع

(١) سورة إبراهيم: ٢١.

(٢) سورة الطور: ٤٨.

(٣) سورة الكهف: ٢٨.

والضجر، والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز.

- والصبر تحمل مكاره الحياة، وعدم الجزع لعوامل الدهر ونكباته، وهو الدواء الشافي لمن ملك الحزن نفسه، والبلسم المعافي لمن قبض الجزع على زمام عواطفه، بل هو عين الراحة، وينبوع الفرح، ومبيد الهموم، ومزيل الغموم، ولا سبيل إلى ما علق بالمرء من الأحزان إلا التمسك به، والتعلق بأهدابه، فهو ركن حصين في محاربتها، وعماد قويم على دفعها.

- فالصبر حالة نفسية تجد الصابر فيها ساكناً هادئاً حامداً شاكراً دائماً على العمل، وكأنه في حالة عادية لا يضر، ولا يشكو، ولا يغضب، ولا يتذمر، ولا يعبس.

- من هنا نجد أن الصبر ضروري في كل حال وفي كل زمان، وهو غريزة في الإنسان تزيد وتنقص، إلا أنها شأن الغرائز تنمو بالعلم والمران والتجارب.

- ولخلق الصبر أهمية كبيرة تظهر فيما يلي:

أولاً- الصبر صفة من صفات الله ﷻ:

- فالله ﷻ هو (الصبور) أي الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام والعقاب، وفي الحديث القدسي أن الله أوحى لإبراهيم عليه السلام: (يا إبراهيم أما علمت أن من أسمائي أني أنا الصبور)^(١).

- وفي الحديث النبوي: «لَا أَحَدَ أَصْبَرَ عَلَيَّ أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيَجْعَلُ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه.

ثانياً- الصبر خلق أكثر القرآن الكريم من ذكره أكثر من ذكر أي خلق آخر:

- قال الإمام أحمد رحمه الله: (الصبر في القرآن نحو تسعين موضعاً، وقد كرر القرآن الأمر بالصبر، فتكررت كلمة (اصبر) تسع عشر مرة، وتكررت كلمة (اصبروا) ستّ مرات.

- ولذلك قال العلماء: إن الصبر واجب بإجماع الأمة، ولا عجب فهو نصف الإيمان، لأن الإيمان شطران نصفه صبر ونصفه شكر^(١).

ثالثاً- الصبر صفة من صفات الأنبياء والمرسلين:

- فقد ذكر القرآن الكريم صفات الأنبياء والمرسلين في آيات كثيرة، فكان من أبرزها صفة الصبر، فذكر صبر سيدنا أيوب عليه السلام على ما أصابه من ضر ببدنه، وعلى فقده أهله، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٢).

- وكذلك مدح الله ﷻ صبر الأنبياء في آيات كثيرة فقال سبحانه:

﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) ﴿٨٦﴾.

- هذا وقد أمر الله سبحانه وتعالى خاتم رسله وصفوة خلقه ورحمته إلى العالمين سيدنا محمد ﷺ أن يتخذ من صبر الأنبياء أسوة له في صبره قال تعالى:

(١) ابن القيم: مدارج السالكين.

(٢) سورة ص: ٤٤.

(٣) سورة الأنبياء: ٨٥-٨٦.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١).

- وأولو العزم من الرسل وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بالإضافة إلى سيدنا محمد عليهم صلوات الله أجمعين قد لاقوا من العنت والأذى والبلاء أكثر مما لقيه غيرهم من المرسلين، وهم الذين خصهم الله بالذكر دون غيرهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٢).

رابعاً- الصبر من أهم الأخلاق التي تخلق بها النبي ﷺ وأمر بها وحث عليها:

- وهذا ما يجده المؤمن إذا تصفح سيرة النبي ﷺ في كل حياته، فكان أعظم قدوة حسنة للناس في كل صفاته وخصاله وخاصة الصبر.

- ومع كون النبي ﷺ قدوة للمؤمنين في الصبر، فقد بين لهم أهميته الكبرى في أحاديثه، وحثهم على التمسك به، قال يصف الصبر: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»^(٣).

- وقال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٤).

خامساً- من أهم صفات وأخلاق الصحابة الكرام:

- عندما نقرأ سير الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة من لازمه منهم منذ فجر الدعوة نجد أن الصبر من أهم صفاتهم وأخلاقهم التي تحلوا بها، فقد صبروا على أذى المشركين وصبروا في الدعوة إلى الله ﷻ، وصبروا في جهاد

(١) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه صهيب ﷺ.

نفوسهم وجهاد أعدائهم، وصبروا في نشر الإيمان في نفوس العباد، وصبروا في فتح البلاد، وصبروا على الفقر والشدة والتعب والنصب، وصبروا على العبادة والعمل بأوامر الله، والانتهاز عما نهى الله عنه، وصبروا في حياتهم كلها وفي مجالات أعمالهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، من هؤلاء الصابرين عمار بن ياسر وأسرته، حيث كان يمر بهم رسول الله ﷺ ويرى عذاب أهل الكفر بهم فيقول لهم ﷺ: «صبروا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»^(١).

- ومن أبرز الصابرين من الصحابة الكرام بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وخباب بن الأرت، ومصعب بن عمير، وسعد بن أبي وقاص ﷺ، ولم يتحلوا بالصبر فقط بل كانوا يدعون إليه ويأمرون به، فقد ورد في رسالة لعمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري: (عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر)^(٢).

- وقال علي كرم الله وجهه: (بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال أيضاً الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له)^(٣).

سادساً- الصبر من أهم صفات الصالحين والأولياء والمقربين والدعاة المخلصين:
- من يتصفح سير هؤلاء ويطالع قصصهم يجد الصبر من أهم صفاتهم وأخلاقهم، والقصص في ذلك أكثر من أن تعد.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک عن ابن إسحاق.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين.

(٣) المصدر نفسه.

سابعاً- الصبر من عزم الأمور:

- يحدثننا القرآن الكريم أن الصبر هو خلق أهل العزيمة القوية، وأصحاب الإرادة الماضية الذين يعرفون الخير، ويعزمون عليه، ويمضون فيه، لا يثنون عنه مهما كلفهم من تعب أو مشقة.

- ومن هنا جعل القرآن الصبر من (عزم الأمور)، والعزم هو عقد القلب على إمضاء الأمر، والمحافظة على ما يؤمر الإنسان به، وقيل إن عزم الأمور هو محكم الأمور، قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١).

- وقال سبحانه: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٢).

- وقال ﷻ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٣).

ثامناً- الصبر طريق الخير:

- وهذا ما بينه القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَلَيْنَ صَبْرٌ لَّهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾^(٤).

- وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران: ١٨٦.

(٢) سورة الشورى: ٤٣.

(٣) سورة لقمان: ١٧.

(٤) سورة النحل: ١٢٦.

(٥) سورة النساء: ٢٥.

- قال الحسن رضي الله عنه: «الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عليه»^(١).

تاسعاً- الصبر نتائجه حسنة مضمونة وثوابه عظيم جزيل:

- فالصبر يتمكن الإنسان بطمأنينة وثبات أن يضع الأشياء في مواضعها، وأن يتصرف في الأمور بعقل واتزان، وينفذ ما يريد في الزمن المناسب، وبالطريقة المناسبة الحكيمة وعلى الوجه المناسب الحكيم بخلاف عدم الصبر الذي يدفع إلى التسرع والعجلة، فيضع الإنسان الأشياء في غير مواضعها، ويتصرف برعونة، وربما يكون صاحب حق أو يريد الخير، فيغدو جانياً أو مفسداً، ولو أنه اعتصم بالصبر لسلم من كل ذلك.

- فتتاج الصبر وثمراته عظيمة في الدنيا والآخرة، ومن أهمها: أن أهل الصبر لهم البشرى السارة من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

- ويفوزون بمحبة الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

- وتشملهم معية الله التي فيها التأيد والنصر والتكريم والمعونة والمثوبة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

(١) ابن أبي الدنيا: الصبر والثواب عليه.

(٢) سورة البقرة: ١٥٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٤) سورة البقرة: ١٥٣.

- قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

- وقد وعد الله ﷻ الصابرين بمضاعفة أجورهم، فقال سبحانه:

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾^(٢).

- وقد ذكر القرآن الكريم أكثر من مرة أن عقبة الصابرين الفوز بنعيم الجنة

العظيم، فقد قال الله ﷻ عن عباده: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَاجِبَ وَسَالَمًا ۗ ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَحْسَنَتْ مَسَافِرَ أَوْ مَقَامًا ۗ ﴿٧٦﴾﴾^(٣).

- والغرفة هي أعلى منازل الجنة وأفضلها، وقال سبحانه:

﴿وَجَزَاءُ مَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ﴾^(٤).

- ويؤكد القرآن الكريم عظيم ثواب الصابرين الذي ضمنه، فيقول:

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٥).

- وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) سورة القصص: ٥٤.

(٣) سورة الفرقان: ٧٥-٧٦.

(٤) سورة الإنسان: ١٢.

(٥) سورة المؤمنون: ١١١.

(٦) سورة النحل: ٩٦.

وينتهي بنا القرآن الكريم بتكريم الصابرين إلى أن ثوابهم غير محدود، بل هو موكول لفضل الله العظيم الذي لا حدود له ولا قيود فيقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

عاشراً- الصبر من المواضيع التي اهتم بها الشعراء ونظموا فيه الشعر لما له من منزلة عظيمة:

- قال أحدهم^(٢):

الصبر مثل اسمه، مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

- وقال آخر^(٣):

لا تحسبن المجد تماًراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

- وقال ثالث^(٤):

تصبر ففي اللأواء^(٥) قد يحمد الصبر

ولولا صروف الدهر^(٦) لم يعرف الحرّ

- وقال غيره^(٧):

(١) سورة الزمر: ١٠.

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء.

(٤) المحيي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر.

(٥) اللأواء: الشدة.

(٦) صروف الدهر: مصائبه ونوائبه.

(٧) ابن المعتز: طبقات الشعراء.

إن الأمور إذا سدت مسالكها
 لا تياسن وإن طالت مطالبها
 فأخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
 فالصبر يفتح منها كل ما ارتجى^(١)
 إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
 ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
 - أخيراً: ينبغي للمسلم أن يعلم أن للصبر أنواع متعددة ومجالات كثيرة
 ولكن أهم هذه الأنواع ما يلي:
 أولاً- الصبر على الطاعات:

- ويعني الصبر على الطاعات الاستمساك بأدائها، لأن الطاعات
 والقربات تحتاج أثناء القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة، وبجاهدة
 للنفس، وكل ذلك يحتاج إلى صبر، قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
 بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(٢).

- وقال سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
 الْخَاشِعِينَ﴾^(٣).

- وقال ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٤).
 - فالصلاة تحتاج إلى وضوء، والوضوء يحتاج إلى صبر، وخاصة في أيام
 الشتاء الباردة، والصلاة تحتاج إلى صبر، وخاصة صلاة الفجر، وعلى الأخص
 في فصل الشتاء البارد تحتاج ممن يؤديها أن يستيقظ في الليل ويترك الفراش
 الدافئ الناعم ليتوضأ بماء بارد، وهذا يحتاج إلى صبر.

(١) ما أغلق.

(٢) سورة مريم: ٦٥.

(٣) سورة البقرة: ٤٥.

(٤) سورة طه: ١٣٢.

- وكذلك الصوم يحتاج إلى صبر يساعد على ترك الطعام والشراب والشهوات، ولذلك سمي رمضان بشهر الصبر.

- وكذلك سائر العبادات والطاعات والقربات الموصلة إلى رضاء الله ﷻ تحتاج إلى صبر، حتى عشرة المؤمنين والإبقاء على مودتهم والإغضاء عن هفواتهم خصال تعتمد على الصبر الجميل، قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(١).

- وحتى التمسك بالأخلاق الفاضلة، وحمل النفس على مراعاتها تطبيقاً وسلوكاً يحتاج إلى الصبر، قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْبِطْهُمْ هَبْجًا جَمِيلًا﴾^(٢).

ثانياً- الصبر عن المعاصي:

- وهو عنصر المقاومة للمغريات والشهوات التي بثت في طريق الناس، وزينت لهم اقتراح المآثم المحظورات، امتحاناً من الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الْحِنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٣).

- والإقبال على المكاره من المأمورات والإدبار عن الشهوات المنهي عنها لا يتأتى إلا لصبور، والصبر هنا أثر اليقين الحاسم، والتوجه الصادق إلى ما يرضي الله، وهو روح العفاف الذي يحمي المؤمن من أوزار الدنيا ومكر السيئات، لأجل ذلك فإن لسان المؤمن يلهج دائماً بالدعاء فيقول:

(١) سورة الكهف: ٢٨.

(٢) سورة المزمل: ١٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ؓ.

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (١٣) ﴿ (١)

ثالثاً- الصبر على ما يصيب المؤمن من البلاء:

- وذلك بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وهوين البلية بعد أيادي المنن، وبذكر سواف النعم.

- والبلاء الذي يصيب المؤمن متعدد، في نفسه أو ماله أو منزلته أو أهله، وهذا مما لا يدخل تحت الاختيار كالمصائب مثل موت الأحبة، وهلاك الأموال، وعمى العين، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء، فالصبر على ذلك من أعلى المقامات لأنه من ثمرات اليقين.

- وتلك كلها أعراض متوقعة وهيئات أن تخلو الحياة منها، وإذا لم يصب أحد بسيلها الطام ضربه رشاشها المتناثر.

- وكل ذلك بتقدير الله وقدره، وهو امتحان واختبار وبلاء من الله ﷻ، لينال المؤمن بذلك المنزلة التي أعدت للصابرين، مع حب الله ﷻ ورضاه، ولا يساعده عل ذلك إلا الصبر الذي هو دواء لكل داء، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ وَبَشِيرٍ ﴾
الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿ (١)

ومن لطف الله ﷻ ورحمته أن جعل الامتحان بـ(شيء) من البلايا - كما عبرت عنه الآية- وتنكير (شيء) هنا للتقليل والتحقير يدل على ذلك

(١) سورة الأعراف: ١٢٦.

(٢) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

السياق، لأن ما هو أكثر وأكبر لا يطبقونه، فمسهم بشيء قليل من البلاء تخفيفاً عنهم ورحمة بهم، ومراعاة لضعفهم.

والبلاء هنا بلاء عام يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات، وهذا البلاء العام لكل المخلوقات إنما لاختبارهم وإظهار درجة إيمانهم، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى يصف المؤمنين الصادقين الناجحين في امتحان

البلاء: ﴿وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ (٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣﴾.

- هذا وقد جعل الله الاختبار والامتحان لتمييز الصادقين في الإيمان من المنافقين والكاذبين.

قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مَسْئَةٌ أَسَاءُوا أَذًى يَأْتِيهِمْ وَإِذَا جَاءَهُم مِّن مَّوَدَّةٍ جَاءُوا بِهَا حَسَدًا وَأَن سَاءُوا سَاءُوا لِنَفْسِهِمْ إِنَّهُم لَأُولُو أَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشَدِّ لَئِن لَّمْ يَظْهَرْ لَهُم مَّا كَانُوكُمْ يُخْفُونَ لَآتَيْنَهُم مِّن لَّدُنَّا فَجَمَعْنَاهُمْ إِلَى الْبَاقِيْنَ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤)

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٥).

- هذا وقد بينت السنة الشريفة أهمية هذا النوع من الصبر، وثوابه

العظيم في كثير من الأحاديث النبوية، ومنها الحديث القدسي: (قال الله تعالى: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو في ولده أو في ماله

(١) سورة محمد: ٣١.

(٢) البأساء: الفقر، الضراء: المرض، حين البأس: الحرب.

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

(٤) سورة العنكبوت: ١-٣.

فاستقبلها بصبر جميل استحيت يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا^(١).

- وعن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ^(٢) وَلَا وَصَبٍ^(٣) وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أذى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٤).

- وقال ﷺ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٥).

- وقد جعل العلماء الصبر على ثلاثة أشكال:

- الأول صبرٌ بالله ﷻ: أي صبر بالاستعانة به، والاعتقاد بأنه هو المصير، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٦) يعني: إن لم يصبرك الله لن تصبر.

- والثاني الصبر لله ﷻ: وهو أن يكون الباعث على الصبر محبة الله وإرادة وجهه، والتقرب إليه لا إظهار قوة النفس، والاستحمام إلى الخلق وغير ذلك من الأعراض.

(١) أخرجه الترمذي عن أنس ﷺ في جامع الأحاديث القدسية (وهو ضعيف).

(٢) النَّصَب: التعب.

(٣) الوصب: الألم والسقم الدائم.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة ﷺ وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) سورة النحل: ١٢٧.

- الثالث الصبر مع الله ﷻ: وهو دوران العبد مع مراد الله منه، ومع أحكامه الدينية صابراً نفسه معها سائراً بسيرها مقيماً بإقامتها يتوجه معها أتى توجهت ركائبها، وينزل معها أتى أقامت مضاربها.

- فهذا معنى كونه صابراً مع الله أي جعل نفسه وقفاً على أوامره ومحابه وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها على النفس وهو صبر الصديقين.

